درة الغواص في أوهام الخواص

تأليف : الحريري

من أشهر ما ألف في التصحيفات اللغوية. ويضم (222) بحثاً. والكتاب غير مقتصر على تصحيفات الخواص، كما يفهم من عنوانه، بل إن الكثير من مواده في لحون العامة، لذلك اعتبر كتاب الجواليقي ذيلاً له. وله عدة شروح وحواش، سماها حاجي خليفة في كشف الظنون، وهذه الشروح والحواشي طافحة بالتنبيه على أوهام الحريري وأغاليطه.

نسخ وترتيب وتنسيق مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية
www.almeshkat.net/books/index.php

عودة إلى الكتاب والسنَّة على منهج السلف الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قال الشيخ الأجل الأوحد الرئيس أبو محمد القاسم بن علي الحريري رحمه الله تعالى "أما بعد"حمد الله الذي عم عباده بوظائف العوارف وخص من شاء منهم بلطائف المعارف والصلاة على نبيه محمد العاقب وعلى آله وأصحابه أولي المناقب فإني رأيت كثيرا ممن تسنموا أسنمة الرتب وتوسموا بسمة الأدب قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم و ترعف به مراعف أقلامهم مما إذا عثر عليه وأثر عن المعزو إليه خفض قدر العلية ووصم ذا الحيلة فدعاني الأنف لنباهة أخطارهم والكلف بإطابة أخبارهم إلى أن أدرأ عنهم الشبه وأبين ما التبس عليهم واشتبه لألتحق بمن زكى أكل غرسه وأحب لأخيه ما يحب لنفسه فألفت هذا الكتاب تبصرةً لمن تبصر وتذكرة لمن أراد أن يتذكر و سميته درة الغواص في أوهام الخواص وها أنا قد أودعته من النخب كل لباب ومن النكت ما لا يوجد منتظماً في كتاب هذا مالمعته به من النوادر الائقة بمواضعها و الحكايات الواقعة في مواقعها فإن حلى بعين الناظر فيه و الدارس وأحله محل القادح لدى القابس وإلا فعلى الله تعالى أجر المجتهد وهو حسبي وعليه أعتمد

أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة

يقولون قدم سائر الحاج

واستوفى سائر الخراج فيستعملون سائراً بمعنى الجميع وهو في كلام العرب بمعنى الباقي ومنه قيل لما يبقى في الإناء سؤر والدليل على صحة ذلك أن النبي عليه السلام قال لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوةٍ اختر أربعاً منهن وفارق سائرهن أي من بقي بعد الأربع الائي تختارهن ولما وقع سائر في هذا الموطن بمعنى الباقي الأكثر منع بعضهم من استعماله بمعنى الباقي الأقل والصحيح أنه يستعمل في كل باقٍ قل أو كثر لإجماع أهل اللغة على أن معنى الحديث إذا شربتم فأسئروا أي أبقوا في الإناء بقية ماء لا أن المراد به أن يشرب الأقل ويبقي الأكثر وإنما ندب للتأدب بذلك لان الاكثار من المطعم والمشرب منبأةٌ عن النهم وملامةٌ عند العرب ومنه ما جاء في حديث أم زرع عن التي ذمت زوجها فقالت إن أكل لف وإن شرب اشتف أي تناهى في الشرب إلى أن يستأصل الشفافة وهي ما يبقى من الشراب في الإناء ومما يدل على أن سائراً بمعنى باقٍ ما أنشده سيبويه

ترى النور فيها مدخل الظل رأسه و سائره بادٍ إلى الشمس أجمع

ويشهد بذلك أيضاً قول الشنفرى

ولا تقبروني إن قـبـري مـحـرمٌ عليكم ولكن أبـشـري أم عـامـرٍ

إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقـى ثـم سـائري

فعنى كل شاعربلفظ سائر ما بقي من جثمانه بعد إبانة الرأس وقد اشتملت هذه الأبيات على ما يقتضي الكشف عنه لئلا يحتضن هذا الكتاب ما يلتبس شئ منه أما قول الشاعر الأول ترى النور فيها مدخل الظل رأسه فله أراد به مدخل رأسه الظل فقلب الكلام كما يقال أدخلت الخاتم في إصبعي وحقيقته إدخال الإصبع في الخاتم وقلب الكلام من سنن العرب المأثورة وتصاريف لغاتها المشهورة ومنه في القرآن ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة لأن تقديره ما أن العصبة لتنوء بمفاتحه أي تنهض بها على تثاقل وأما قول الشنفرى ولكن أبشري أم عامر فقد اختلف في تفسيره فقيل أنه التفت عن خطاب قومه إلى خطاب الضبع فبشرها بالتحكم فيه إذا قتل ولم يقبر و أم عامر كنية الضبع والالتفات في المخاطبة نوع من أنواع البلاغة وأسلوب من أساليب الفصاحة وقد نطق القرآن به في قوله تعالى "يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك " فحول الخطاب عن يوسف عليه السلام إلى امرأة العزيز و قيل بل الخطاب كله لقومه فكأنه قال لا تقبروني إذا قتلت ولكن اتركوني للتي يقال لها ابشري أم عامر فجعل هذه الجملة لقباً لها وأوردها على وجه الحكاية كما قيل لثابت ابن جابرالفهمي تأبط شراً يأخذ سيفه تحت إبطه وإنما لقبت الضبع بذلك لأن من عادة من يروم اصطيادها من وجارها أن يقول لها حينيحتفرعنها ابشري أم عامرٍ خامري أم عامرٍ وهي تبتعد منه وتروغ عنه وهو لا يزال يكرر ذلك عليها ويؤنسها به إلى أن تبرز به إليه وتسلم نفيها له ولأجل إنخداعها بهذا القول نسبت إلى الحمق وضرب بها المثل فيه وأما قوله وفي الرأس أكثري فإنه عنى به أن فيه أربعا من الحواس الخمس التي كملت بها فضيلة الإنسان وامتاز عن سائر الحيوان وإنما اختار هذا الشاعر تسليط الضبع على أكله وأن لايقبر بعد قتله ليكون هذا الفعل أوجع لقلوب قومه وأدعى لهم إلى الثؤر بدمه وقد فسر بغير ذلك إلا أنا لم نضع هذا الكتاب لهذا الفن فنستقصي فيما .شرح منه وإنما شذرناه بما نظمناه من غير سمطه فيه

ويقولون للمتتابع فيه متواتر

فيوهمون فيه - لأن العرب تقول جاءت الخيل متتابعة إذا جاء بعضها في إثر بعض بلا فصلٍ وجاءت متواترة إذا تلاحقت وبينها فصل وجاءت متواترة إذا تلاحقت وبينها فصل ومنه قولهم فعله تاراتٍ أي حالاً بعد حال وشيئاً بعد شئ وجاء في الأثر أن الصحابة لما اختلفوا في الموؤدة قال لهم علي رضي الله عنه أنها لا تكون موؤدة حتى تأتي عليها التارات السبع فقال له عمر رضي الله عنه صدقت أطال الله بقاءك وكان أول من نطق بهذا الدعاء وأراد علي رضي الله عنه بالتارات السبع طبقات الخلق السبع المبينة في قوله تعالى "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر" فعنى سبحانه وتعالى ولادته حياً فأشار علي رضي الله عنه إلى أنه إذا استهل بعد الولادة ثم دفن فقد وئد وقصد بذلك أن يدفع قول من توهم أن الحامل إذا أسقطت جنينها بعد التداوي فقد وأدته ومما يؤيد ما ذكرنا من معنى التواتر قوله تعالى "ثم أرسلنا رسلنا تترى" ومعلوم ما بين كل رسولين من الفترة وتراخي المدة وروى عبد الخير قال قلت لعلي رضي الله عنه أن علي أياماً من شهر رمضان أفيجوز أن أقضيها متفرقة قال اقضها إن شئت متتابعة وإن شئت تترى قال فقلت أن بعضهم قال لا تجزئ عنك إلا متتابعة قال بلى تجزئ تترى لأنه قال عز وجل "فعدة من أيام أخر " ولو أرادها متتابعة لبين التتابع كما قال سبحانه "فصيام شهرين متتابعين" وعند أهل العربية أن أصل تترى وترى فقلبت الواو تاء كما قلبت في تخمة وتهمة

وتجاه لكون أصولهما من الوخامة والوهم والوجه ويجوز أن ينون تترى كما تنون أرطىً وأن لا تنون مثل سكرى وقد قرئ بهما جميعاً وحكى أبو بكر الصولي قال كتب أحد الأدباء إلى صديق له وقد أبطأ جوابه عنه كتبت إليك فما أجبت وتابعت فاواترت وأضبرت فما أفردت وجمعت فاوحدت فكتب إليه صديقه الجفاء مستمر على الأزمان أحسن من بعض الخطاب للإخوان

-**ويقولون أزف وقت الصلاة** اشارة إلى تضايقه ومشارفة تصرمه- فيحرفونه عن موضعه ويعكسون حقيقة المعنى في وضعه لأن العرب تقول أزف الشئ بمعنى دنا واقترب لا بمعنى حضر ووقع يدل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى سمى الساعة آزفة وهي منتظرة لا حاضرة وقال عز وجل فيها "أزفت الآزفة" أي دنا ميقاتها وقرب أوانها كما صرح جل اسمه بهذا المعنى في قوله سبحانه "اقتربت الساعة" والمراد بذكر اقترابها التنبيه على أن ما مضى من أمد الدنيا أضعاف ما بقي منه ليتعظ أولوا الألباب به ومما يدل أيضاً على أن أزف بمعنى اقترب قول النابغة

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قـد

فتصريحه بأن الركاب مازالت يشهد بأن معنى قوله أزف أي اقترب إذ لو كان قد وقع لسارت الركاب ومعنى قوله وكأن قد أي وكأن قد سارت فحذف الفعل لدلالة ما بقي على ما ألقى ونبه بقد على شدة التوقع وتداني الإيقاع له والعرب تقول في كل ما يتوقع حلوله ويرصد وقوعه كان قد أي كان قد وجد كونه وأظل وقعه

ويقولون زيد أفضل اخوته- فيخطئون فيه لأن افعل الذي لا للتفضيل لا يضاف إلا إلى ما هو داخل فيه ومنزل منزلة الجزء منه وزيد غير داخل في جملة اخوته ألا ترى أنه لو قال لك قائل من اخوة زيد لعددتهم دونه فلما خرج عن أن يكون داخلاً فيهم امتنع أن يقال زيد أفضل اخوته كما لا يقال زيد أفضل النساء لتميزه من جنسهن وخروجه عن أن يعد في جملتهن وتصحيح هذا الكلام أن يقال زيد أفضل الاخوة أو أفضل بني أبيه لأنه حينئذٍ يدخل في الجملة التي أضيف إليها بدلالة أنه لو قيل لك من الاخوة أو من بنو أبيه لعددته فيهم وأدخلته معهم -ويقولون لمن يأخذ الشيء بقوة وغلظة قد تغشرم وهو متغشرم- والصواب أن يقال تغشمر فبه وهو متغشمر بتقديم الميم على الراء كما قال الراجز

أن لها لسائقا عشنـزرا إذا ونين ساعة تغشمرا

ويروى أن لها لسائقاً عشوزرا وكلاهما بمعنى الشديد ومن كلام العرب قد تغشمر السيل إذا أقبل بشدة وجرى بحدة -**ويقولون بعد اللتيا والتي**- فيضمون اللام الثانية من اللتيا وهو لحن فاحش وغلط شائن إذ الصواب فيها اللتيا بفتح اللام لأن العرب خصت الذي والتي عند تصغيرهما وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغها وبأن زادت ألفا في آخرها عوضا عن ضم أولها فقالوا في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذاك وذلك ذياك وذيالك وعليه أنشد ثعلب

بذيالك الـوادي أهـيم ولـم أقـل بذيالك الوادي وذياك مـن زهـد

ولكن إذا ما حب شئ تـولـعـت به أحرف التصغير من شدة الوجد

أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبة ولطف المنزلة كما يقال يا بنيّ ويا وخيّ وقوله ما حب شئ يعني به أحب لأنه يقال أحب الشيء وحبه بمعنى كما جاء في المثل السائر من حب وطب إلا أنهم اختاروا أن بنوا الفاعل من لفظة احب وبنوا المفعول من لفظة حب فقالوا للفاعل محب وللمفعول محبوب ليعادلوا بين اللفظتين في الاشتقاق منهما والتفريع عنهما على أنه قد سمع في المفعول محب وعليه قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

-**ويقولون فلان يستأهل الإكرام وهو مستأهل للأنعام** -ولم تسمع هاتان اللفظتان في كلام العرب ولا صوب التلفظ بهما من أحد أعلام الأدب ووجه الكلام أن يقال فلان يستحق التكرمة وهو أهل لإسداء المكرمة فأما قول الشاعر

لا بل كلي يا ميّ واستاهلي إن الذي أنفقت من مالـيه

فإنه عنى بلفظة استاهلي أي اتخذي الإهالة وهي ما يؤتدم به من السمن والودك وفي أمثال العرب استاهلي اهالتي وأحسني ايالتي أي خذي صفو طعمتي وأحسني القيام بخدمتي -ويقولون إذا أصبحوا سهرنا البارحة وسرينا البارحة- والاختيار في كلام العرب على ما حكاه ثعلب أن يقال من لدن الصبح إلى

أن تزول الشمس سرينا الليلة وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار سهرنا البارحة ويتفرع على هذا أنهم يقولون مذ إنتصاف الليل إلى وقت الزوال صبحت بخير وكيف أصبحت -ويقولون إذا زالت الشمس إلى أن ينتصف الليل مسيت بخير وكيف أمسيت- وجاء في الأخبار المأثورة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا انفتل من صلاة الصبح قال لأصحابه هل فيكم من رأى رؤيا في ليلته وقد ضرب المثل في المتشابهين فقيل ما أشبه الليلة بالبارحة كما قال طرفة

كل خليل كنت خاللتـه لاترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلـب ما أشبه الليلة بالبارحة

ومعنى قوله لا ترك الله له واضحة أي لا أبقى الله له شيئاً وقيل بل أراد به المال الظاهر قال الشيخ الأجل الأوحد الإمام أبو محمد رحمه الله وقد خالفت العرب بين ألفاظ متفقه المعاني لاختلاف الأزمنة وقصرت أسماء الأشياء على وقت دون وقت كما سمت شرب الغداة صبوحاً وشرب العشية غبوقاً وشرب نصف النهار قيلاً وشرب أول الليل فحمة وشرب السحر جاشرية وكما قالوا أن السراب لا يكون إلا نصف النهار والفئ لا يكون إلا بعد الزوال والمقيل الاستراحة وقت الهاجرة والسمر حديث الليل خاصة والطروق الإتيان ليلاً في قول أكثرهم والإدلاج بإسكان الدال سير أول الليل والادلاج بالتشديد سير آخره والتأويب سير النهار وحده والسرى سير الليل خاصة والمشرقة وشرقة الشمس لا تكون إلا في الشتاء فإن عارض معارض بقوله "سبحانه سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً" فالجواب عنه أن المراد بذكر الليل الإخبار عن أن الإسراء وقع بعد توسطه كما يقال جاء فلان البارحة بليل إذا جاء بعد أن مضى قطع منه ومما ينتظم في سلك هذا السمط قولهم ظل يفعل كذا وكذا إذا فعله ليلاً وغور المسافر إذا نزل وقت القائلة وغرس الساري إذا نزل آخر الليل للاستراحة ونفشت السائمة في الزرع إذا بالليل وتهجد المصلي إذا تنفل المصلي في ظل الليل وكتسميتهم الشمس في وقت ارتفاعها الغزالة وعند غروبها الجونة كما لم يسمع غربت الغزالة وأنشدت ليوسف الجوهري البغدادي

وإذا الغزالة في السماء ترفعت وبدا النهار لوقتـه يتـرحـل
أبدت لقرن الشمس وجهاً مثله يلقى السماء بمثل ما تستقبـل

-ومن أوهامهم أيضاً في هذا الفن قولهم لا أكلمه قط- وهو من أفحش الخطأ لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه وذاك أن العرب تستعمل لفظة قط فيما مضى من الزمان كما تستعمل كلمة أبداً فيما يستقبل منه فيقولون ما كلمته قط ولا أكلمه أبداً والمعنى في قولهم ما كلمته قط أي فيما انقطع من عمري لأنه من قططت الشيء إذا قطعته ومنه قط القلم أي قطع طرفه ومما يؤثر من شجاعة علي رضي الله عنه أنه كان إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط فالقد قطع الشيء طولاً والقط قطعه عرضاً ولفظة قط هذه مشددة الطاء وهي اسم مبني على الضم مثل حيث ومنذ وأما قط بتخفيف الطاء فهو اسم مبني على السكون مثل قد وكلاهما بمعنى حسب وقرأت في أخبار الوزير علي بن عيسى رحمه الله أنه رأى كاتباً يبري قلماً بمجلسه فأنكر ذلك عليه وقال مالك في مجلسي إلا القط فقط وقد تدخل نون العماد على قط وقد مع ضمير المتكلم المجرور كما قال الزاجر في قط -امتلأ الحوض وقال قطني- أي قد بلغ من الامتلاء إلى الحد الذي لو نطق لقال حسبي ومما أنشدته من أبيات المعاني

إذا نحن نلنا من ثريدة عـوكـل فقدنا لها ما قد بقي من طعامها

أراد هذا الشاعر بقوله فقدنا أي فحسبنا ثم استأنف فقال لها ما قد بقي من طعامها أي لا نرزؤها لاستغنائنا واكتفائنا بما نلناه -ويقولون للمريض مسح الله ما بك- بالسين والصواب فيه مصح كما قال الزاجر -قد كاد من طول البلى أن يمصحا- وكقول الشاعر وقد أحسن فيه

يا بدر أنك قد كسيت مشـابـهـاً من وجه أم محمد ابنة صـالـح
وأراك تمصح في المحاق وحسنها باقٍ على الأيام ليس بمـا صـح

ويحكى أن النضر بن شميل المازني مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله تعالى ما بك فقال له لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح بالصاد أي أذهبه الله تعالى وفرقه أما سمعت قول الشاعر

وإذا ما الخمر فيها أزبدت أفل الازباد فيها ومصح

فقال له الرجل أن السين قد تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فأنت إذاً أبو صالح ويشبه هذه النادرة ما حكي أيضاً أن بعض الأدباء جوز بحضرة الوزير أبي الحسن ابن الفرات أن تقام السين مقام الصاد في كل موضع فقال له الوزير أتقرأ -جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم- أم ومن سلح فخجل الرجل وانقطع -ويقولون قرأت الحواميم والطواسين- ووجه الكلام فيهما أن يقال قرأت آل حم و آل طس كما قال ابن مسعود رحمه الله آل حم ديباج القرآن وكما روى عنه أنه قال إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن وعلى هذا قول الكميت بن زيد في الهاشميات

وجدنا لكم في آل حم آيةً تأولها منا تقي ومعرب

يعني بالآية قوله تعالى في "حم عسق قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" -ويقولون ادخل باللص السجن- فيغلطون والصواب أن يقال أدخل اللص السجن أو ادخل به لأن الفعل يعدي تارة بهمزة النقل كقولك خرج وأخرجته وتارة بالباء كقولك خرج وخرجت به فأما الجمع بينهما فممتنع في الكلام كما لا يجمع بين حرفي استفهام وقد اختلف النحويون هل بين حرفي التعدية فرق أم لا فقال الأكثر ون هما بمعنى واحد وقال أبو العباس المبرد بل بينهما فرق وهو أنك إذا قلت أخرجت زيداً كان بمعنى حملته على الخروج وإذا قلت خرجت به فمعناه أنك خرجت واستصحبته معك والقول الأول أصح بدلالة قوله تعالى ذهب الله بنورهم فإن اعترض معترض في جواز الجمع بين حرفي التعدية بقراءة من قرأ -وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن بضم التاء فقد قيل فيها عدة أقوال أحدها أن أنبت بمعنى نبت والهمزة فيها أصلية لا للنقل كما قال زهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتنا قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل

فعلى هذا القول تكون هذه القراءة بمعنى من قرأ تنبت بالدهن بفتح التاء والمعنى أن الدهن ينبتها وقيل في القراءة أن الباء زائدة كزيادتها في قوله تعالى" ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" وكزيادتها في قول الزاجر

نحن بنوا جعدة أصحاب الفلـج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

فيكون تقدير الكلام على هذا التأويل تنبت بالدهن أي تخرج بالدهن وقيل أن الباء متعلقة بمفعول محذوف تقديره تنبت ما تنبته وفيه دهن كما تقول ركب الأمير بسيفه أي وسيفه معه وخرج زيد بثيابه أي وثيابه عليه وقيل وهو أحسن الأقوال إنما زيدت الباء لأن انباتها الدهن بعد إنبات الثمر الذي يخرج منه الدهن فلما كان الفعل في المعنى قد تعلق بمفعولين يكونان في حال بعد حال وهما الثمرة والدهن احتيج إلي تقويته بالتعدي بالباء -ويقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة- والصحيح أن يقال له خوان إلى أن يحضر الطعام فيسمى حينئذٍ مائدة يدل على ذلك أن الحواريين حين تحدوا عيسى عليه السلام أن يستنزل لهم طعاماً من السماء فقالوا "هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء" ثم بينوا معنى المائدة بقولهم "نريد أن نأكل منها ولتطمئن قلوبنا" وحكى الأصمعي قال غدوت ذات يوم إلى زيارة صديق لي فلقيني أبو عمرو بن العلاء فقال لي إلى أين يا أصمعي فقلت إلى صديق لي فقال إن كان ذا فائدة أو عائدة أو مائدة و إلا فلا وقد اختلف في تسميتها بذلك فقيل سميت بها لأنها تميد بما عليها أي تتحرك مأخوذ من قوله تعالى -وجعلنا الأرض فيها رواسي أن تميد بهم-وقيل بل هو من مادى أعطى ومنه قول رؤية بن العجاج -إلى أمير المؤمنين الممتاد-أي المستعطي فكأنها تميد من حواليها مما أحضر عليها وقد أجاز بعضهم أن يقال فيها ميدة واستشهد عليه بقول الزاجر

وميدة كـثـيرة الألـوان تصنع للجيران والإخوان

وفي كلام العرب أشياء تختلف أسماؤها باختلاف أوصافها فمن ذلك أنهم لا يقولون للقدح كأس إلا إذا كان فيها شراب ولا للبئر ركية إلا إذا كان فيه ماء ولا للدلو سجل إلا وفيها ماء ولو قل ولا يقال لها ذنوب إلا إذا كانت ملآى ولا يقال أيضاً للبستان حديقة إلا إذا كان عليه حائط ولا للإناء كوز إلا إذا كانت له عروة وإلا فهو كوب ولا للمجلس ناد إلا وفيه أهله ولا للسرير أريكة إلا إذا كانت عليه حجلة ولا للمرأة ظعينة إلا ما دامت راكبة في الهودج ولا للستر خدر إلا إذا اشتمل على امرأة ولا للقدح سهم إلا إذا كان فيه نصل وريش ولا للطبق مهدى إلا مادامت فيه الهدية ولا للشجاع كميّ إلا إذا كان شاكي السلاح ولا للقناة رمح إلا إذ اركب عليها السنان وعليه قول عبد القيس بن خفاف البرجمي

وأصبحت أعددت للـنـائبـا ت عرضاً بريئاً وعضباً صقيلا
ووقع لسان كـحـد الـسـنـا ن ورمحاً طويل القناة عسولا

ولو كان الرمح هو القنال لقال رمحاً طويلاً لأن الشيء لا يضاف إلى ذاته ومن هذا النمط أيضاً أنه لا يقال للصوف عهن إلا إذا كان مصبوغاً ولا للسرب نفق إلا إذا كان مخروقاً ولا للخيط سمط إلا إذا كان فيه نظم ولا للحطب وقود إلا إذا اتقدت فيه النار ولا للثوب مطرف إلا إذا كان في طرفه علمان ولا لماء الفم رضاب إلا ما دام في الفم ولا للمرأة عانس ولا عاتق إلا مادامت في بيت أبويها وكذلك لا يقال للأنبوبة قلم إلا إذا بريت وأنشدني أحد شيوخنا رحمه الله لأبي الفتح كشاجم

لا أحب الدواة تحشى يراعاً تلك عندي من الدويّ معيبة
قلم واحـد وجـودة خـط فإذا شئت فاستزد أنبوبـه
هذه قعدة الشجاع علـيهـا سيره دائبا وتلك حنـيبـه

-ويقولون لمن يحمل الدواة دواتي بإثبات التاء- وهو من اللحن القبيح والخطأ الصريح ووجه القول أن يقال فيه دوويّ لأن تاء التأنيث تحذف في النسب كما يقال في النسب إلى فاطمة فاطميّ وإلى مكة مكي وإنما حذفت لمشابهتها ياء النسب من عدة وجوه أحدها أن كلتيهما تقع طارقة فتصير هي حرف الإعراب ويجعل ما دخلت عليه حشوا في الكلمة والوجه الثاني أن كل واحدة منهما قد جعل ثبوتها علامة للواحد وحذفها علامة للجمع فقالوا في تاء التأنيث تمرة وتمر كما قالوا في ياء النسب زنجية وزنج والوجه الثالث أن كل واحدة منهما إذا التحقت بالجمع الذي لا ينصرف أصارته منصرفاً نحو صيارف وصيارفة ومدائن ومدائني فلما اشتبهتما من هذه الأوجه الثلاثة لم يجز أن يجمع بينهما كما لا يجمع بين حرفي معنى في كلمة واحدة ولما حذفت التاء بقي الاسم على دوا الموازن للثلاثي المقصور فقلبت ألفه واواً كما تقلب في الثلاثي المقصور فقيل دوويّ كما قالوا في النسب إلى فتى فتويّ ولا فرق في هذا الموطن بين الألف التي أصلها الواو كألف قفا المشتق من قفوت والألف التي أصلها الياء كألف حمى المشتق من حميت وحكمها فيه بخلاف حكمهما في التثنية التي ترد فيها الألف إلى أصلها كقولك في تثنية قفا قفوان وفي تثنية حمى حميان والفرق بين الموضعين أن علامة التثنية خفيفة وما قبلها يكون أبداً مفتوحاً فلا يجتمع في الكلمة المثناة ما يثقل وعلامة النسب ياء مشددة تقوم مقام يائين وما قبلها لا يكون إلا مكسوراً فلو قلبت الألف في النسب ياء لتوالى في الكلمة من الكسر والياءات ما يستثقل اللفظ بها لأجله -ويقولون بعثت إليه بغلام وأرسلت إليه هدية- فيخطئون فيهما لأن العرب تقول فيما يتصرف بنفسه بعثته وأرسلته كما قال تعالى "ثم أرسلنا رسلنا" وتقول فيما يحمل بعثت به وأرسلت به كما قال سبحانه إخبار اعن بلقيس "وأني مرسلة إليهم بهدية"وقد عيب على أبي الطيب قوله

فآجرك الإله على علـيل بعثت إلى المسيح به طبيباً

ومن تأول له فيه قال أراد به أن العليل لاستحواذ العلة على جسمه وحسه قد التحق بحيز ما لا يتصرف بنفسه فلهذا عدى الفعل إليه بحرف الجر كما يعدى إلى ما لا حس له ولا عقل -ويقولون المشورة مباركة فينونها على مفعلة - والصواب أن يقال فيها مشورة على وزن مثوبة ومعونة كما قال بشار

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعـن برأي لبيب أو نـصـيحة حـازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي رافـدات الـقـوادم

وكان الأصل في مشورة مشورة على وزن مفعلة مثل مكرمة فنقلت حركة الواو إلى ما قبلها وسكنت هي فقيل مشورة واختلف في اشتقاق اسمها فقيل أنه من قولك شرت العسل اشورة إذا جنيته فكأن المستشير يجتني الرأي من المشير وقيل بل أخذ من قولك شرت الدابة إذا أجريتها مقبلة ومدبرة لتسبر حضرها وتخبر جوهرها فكأن المستشير يستخرج الرأي الذي عند المشير وكلا الاشتقاقين يتقارب معناه من الآخر ويلتحم به -ويقولون في التحذير إياك الأسد إياك الحسد -ووجه الكلام إدخال الواو على الأسد والحسد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "إياك ومصاحبة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب" وكما قال الشاعر

فإياك والأمر الذي إن توسعت مواردة ضاقت عليك المصادر

والعلة في وجوب إثبات الواو في هذا الكلام أن لفظ إياك منصوبة بإضمار فعل تقديره اتق أو باعد واستغنى عن إظهار هذا الفعل لماتضمن هذا الكلام من معنى التحذير وهذا الفعل

إنما يتعدى إلى مفعول واحد فإذا كان قد استوفى عمله ونطق بعده باسم آخر لزم إدخال حرف العطف في معموله عليه كما لو قلت اتق الشر والأسد اللهم إلا أن يكون المفعول الثاني حرف جر كقولك إياك من الأسد أي باعد نفسك من الأسد فإن قيل فكيف يجوز أن يقال إياك والأسد فيأتي بالواو التي معناها الجمع بين الشيئين وأنت إنما أمرته أن يباعد نفسه ولم تأمره أن يباعد الأسد فالجواب عنه أنه إذا باعد نفسه من الأسد كان بمنزلة تبعيده الأسد وقد جوز إلغاء الواو عند تكرير لفظة إياك كما استغنى عن إظهار الفعل مع تكرير الاسم في مثل قولك الطريق الطريق وأشباهه وعليه قول الشاعر

فإياك إياك المـراء فـإنـه إلى الشر دعاء وللشر جالب

فإن قلت إياك أن تقرب الأسد فالأجود أن تلحق به الواو لأن أن مع الفعل بمنزلة المصدر فأشبه قولك إياك ومقاربة الأسد ويجوز إلغاء الواو فيه على أن تكون أن وما بعدها من الفعل للتعليل وتبين سبب التحذير فكأنك قلت أحذرك لأجل أن تقرب الأسد وعليه قول الشاعر

فبح بالسرائر في أهلـهـا وإياك في غيرهم أن تبوحا

ومما ينخرط في سلك هذا الفن أنهم ربما أجابوا المستخبر عن الشيء بلا النافية ثم عقبوها بالدعاء له فيستحيل الكلام إلى الدعاء عليه كما روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه رأى رجلاً بيده ثوب فقال له أتبيع هذا الثوب فقال لا عافاك الله فقال لقد علمتم لو تتعلمون هلا قلت لا وعافاك الله قال الشيخ أبو محمد والمستحسن في مثل هذا قول يحيى بن اكتم للمأمون وقد سأله عن أمر فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين حكى أن الصاحب أبا القاسم بن عباد حين سمع هذه الحكاية قال والله لهذه الواو أحسن من واوات الأصداغ في خدود الملاح ومن خصائص لغة العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد كما جاء في القرآن "التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وكما قال سبحانه "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم " ومن ذلك أنه جل اسمه لما ذكر أبواب جهنم ذكرها بغير واو لأنها سبعة فقال "حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها" ولما ذكر أبواب الجنة ألحق بها الواو لكونها ثمانية فقال سبحانه "حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها" وتسمى هذه الواو واو الثمانية ومما ينتظم أيضاً في إقحام الواو ما حكاه أبو اسحق الرجاج قال سألت أبا العباس المبرد عن العلة في ظهور الواو في قولنا سبحانك اللهم وبحمدك فقال إني قد سألت أبا عثمان المازني عما سألتني عنه فقال المعنى سبحانك اللهم وبحمدك سبحتك -ويقولون ذهبت إلى عنده- فيخطئون فيه لان عند لا يدخل عليه من أدوات الجر إلا من وحدها ولا يقع في تصاريف الكلام مجروراً إلا بها كما قال سبحانه "قل كل من عند الله" وإنما خصت من بذلك لأنها أم حروف الجر ولأم كل باب اختصاص تمتاز به وتنفرد بمزيته كما خصت أن المكسورة بدخول اللام في خبرها وخصت كان بجواز الإيقاع الفعل الماضي خبراً عنها وخصت باء القسم باستعمالها مع ظهور فعل القسم وبدخولها على الاسم المضمر فأما قول الشاعر

كل عند لك عـنـدي لا يساوي نصف عند

فمن ضرورات الشعر كما أجرى بعضهم ليت وسوف وهما حرفان مجرى الأسماء المتمكنة فأعربهما في قوله

ليت شعري وأين منى ليت ان ليتا وان سوفا عنـاء

وقد تستعمل عند بعدة معان فتكون بمعنى الحضرة كقولك عندي زيد وبمعنى الملكة كقولك عندي مال وبمعنى الحكم كقولك زيد عندي أفضل من عمرو أي في حكمي وبمعنى الفضل والإحسان كما قال سبحانه وتعالى إخباراً عن خطاب شعيب لموسى عليهما السلام "فإن أتممت عشراً فمن عندك " أي من فضلك وإحسانك -ويقولون لمن تغير وجهه من الغضب قد تمغر وجهه بالغين المعجمة- والصواب فيه تمعر بالعين المغفلة ذكر ذلك ثعلب واستشهد عليه بما روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن الله عز وجل أمر جبريل عليه السلام بأن يقلب بعض المدائن فقال يا رب إن فيها عبدك الصالح فقال يا جبريل ابدأ به فإنه لم يتمعر لي وجهه قط أي لم يغضب لأجلي فرواه بالعين المهملة ثم قيد الرواية بأن غلط من رواه بالغين المعجمة ونسبة إلى التصحيف في الكلمة -ويقولون من هذا النوع أيضاً قد اصفر لونه من المرض واحمر خده من الخجل- وفي المحققين أنه إنما يقال اصفر

واحمر ونظائرهما في اللون الخالص الذي قد تمكن واستقر وثبت واستمر فأما إذا كان اللون عرض لسبب يزول ومعنى يحول فيقال فيه اصفار واحمار ليفرق بين اللون الثابت والمتلون العارض وعلى هذا جاء في الحديث فجعل يحمار مرة ويصفار أخرى -ويقولون اجتمع فلان مع فلان فيوهمون فيه الصواب أن يقال اجتمع فلان و فلان لأن لفظة اجتمع على وزن افتعل وهذا النوع من وجوه افتعل مثل اختصم واقتتل وما كان أيضاً على وزن تفاعل مثل تخاصم وتجادل يقتضي وقوع الفعل من أكثر من واحد فتى أسند الفعل منه إلى أحد الفاعلين لزم أن يعطف عليه الآخر بالواو لا غير وإنما اختصت الواو بالدخول في هذا الموطن لأن صيغة هذا الفعل تقتضي وقوعه من اثنين فصاعداً ومعنى الواو يدل على الاشتراك في الفعل أيضاً فلما تجانسا من هذا الوجه وتناسب معناهما فيه استعملت الواو خاصة في هذا الموضع ولم يجز استعمال لفظة مع فيه لأن معناها المصاحبة وخاصيتها أن تقع في الموطن الذي يجوز أن يقع الفعل فيه من واحد و المراد بذكرها الإبانة عن المصاحبة التي لو لم تذكر لما عرفت وقد مثل النحويون في الفرق بينها وبين الواو فقالوا إذا قال القائل جاء زيد وعمرو كان إخبار اعن اشتراكهما في المجيء على احتمال أن يكونا جاءا في وقت واحد أو سبق أحدهما فإن قال جاء زيد مع عمرو كان أخبار اعن مجيئهما متصاحبين وبطل تجويز الاحتمالين الآخرين فذكر لفظة مع ههنا أفاد إعلام المصاحبة وقد استعملت حيث يجوز أن يقع الفعل فيه من واحد فذكرها فيه خلف من القول وضرب من اللغو ولذلك لم يجز أن يقول اجتمع زيد مع عمرو كما لم يجز أن يقال اصطحب زيد وعمرو معاً للاستغناء عن لفظة مع بما دلت عليه صيغة الفعل ونظيره امتناعهم أن يقال اختصم الرجلان كلاهما للاستغناء بلفظة اختصم التي تقتضي الاشتراك في الخصومة عن التوكيد لأن وضع كلا وكلتا لأن تؤكد المثنى في الموضع الذي يجوز فيه انفراد أحدهما بالفعل ليتحقق معنى المشاركة وذلك في مثل قولك جاء الرجلان كلاهما لجواز أن يقال جاء الرجل فأما فيما لا يكون الفعل لواحد فتوكيد المثنى بهما لغو ومثل ذلك أنهم لا يؤكدون بلفظة كل إلا ما يمكن فيه التبغيض فلهذا أجازوا أن يقال ذهب المال كله لكون المال مما يتبعض ومنعوا أن يقال ذهب زيد كله لأنه مما لا يتجزى وفي مع لغتان أفصحهما فتح العين منها وقد نطق بإسكانها قال جرير:

قريشي منكم وهواي معكم وإن كانت زيارتكم لماماً

ويقولون لقيتهما اثنيهما مقايسة على قولهم لقيتهم ثلاثتهم- فيوهمون في الكلام والمقايسة وهمين ويختل عليهم الفرق بين الكلامين وذلك أن العرب تقول في الاثنين لقيتهما من غير أن تفسر الضمير فإن أرادت أن تخبر عن أفرادهما باللقاء قالت لقيتهما وحدهما وتقول في الجميع لقيتهم ثلاثتهم ورأيتهم خمستهم وما أشبه ذلك فتفسر الضمير والفرق بين الموضعين أن الضمير في قولك لقيتهما ضمير مثنى والمثنى لا تختلف عدته ولا تلتبس حقيقته فاستغنى عن تفسير يبينه والضمير في قولك لقيتهم ضمير جمع والجمع مبهم غير محصور العدة لاشتماله على الثلاثة وعلى ما لا يحصى كثرة فلو لم يفسره المخبر عنه بما يبين عدته ويزيل الإبهام عنها لما عرف السامع حقيقته ولا علم كميته وحكى أبو علي الفارسي أن مروان بن سعيد المهلبي سأل أبا الحسن الأخفش عن قوله عز وجل "فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك" ما الفائدة في هذا الخبر فقال أفاد العدد المجرد من الصفة وأراد مروان بسؤاله أن الألف في كانتا تفيد الإثنين فلأي معنى فسر ضمير المثنى بالاثنتين ونحن نعلم أنه لا يجوز أن يقال فإن كانتا ثلاثاً ولا أن يقال فإن كانتا خمساً وأراد الأخفش بقوله أن الخبر أفاد العدد المجرد من الصفة أي قد كان يجوز أن يقال فإن كانتا صغيرتين فلهما كذا وإن كانتا كبيرتين فلهما كذا أو صالحتين فلهما كذا أو طالحتين فلهما كذا فلما قال فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان أفاد الخبر أن فرض الثلثين للأختين تعلق بمجرد

كونهما اثنتين على أية صفة كانتا عليهما من كبر أو صغر أو صلاح أو طلاح أو غنى أو فقر فقد تحصل من الخبر فائدة لم تحصل من ضمير المثنى ولعمري لقد أبدع مروان في سؤاله وأحسن أبو الحسن في كشف أشكاله -ويقولون لعله ندم ولعله قدم- فيلفظون بما يشتمل على المناقضة وينبئ عن المعارضة ووجه الكلام أن بقال لعله يفعل أو لا يفعل لأن معنى لعل التوقع لمرجو أو مخوف والتوقع إنما يكون لما يتجدد ويتولد لا لما انقضى وتصرم فإذا قلت خرج فقد أخبرت عما قضي الأمر فيه واستحال معنى التوقع له فلهذا لم يجز دخول لعل عليه -ويقولون في التعجب من الألوان والعاهات ما ابيض هذا الثوب وما اعور هذا الفرس كما يقولون في الترجيح بين اللونين والعورين زيد أبيض من عمرو وهذا أعور من ذاك- وكل ذلك لحن مجمع عليه وغلط مقطوع به لأن العرب لم تبن فعل التعجب إلا من الفعل الثلاثي الذي خصته بذلك لخفته والغالب على أفعال الألوان والعيوب التي يدركها العيان أن تتجاوز الثلاثي نحو أبيض وأسود وأعور وأحول ولهذا لم يجز أن يبنى منها فعل التعجب فمن أراد أن يتعجب من شئ منها بنى فعل التعجب من فعل ثلاثي يطابق مقصوده من المدح و الذم ثم أتي بما يريد أن يتعجب منه كقولك ما أحسن بياض هذا الثوب وما أقبح عور هذا الفرس وحكم أفعل الذي للتفضيل حكم فعل التعجب في ما يجوز فيه ويمتنع منه فكمالا يقال ما أبيض هذا الثوب ولا ما أعور هذا الفرس لا يجوز أن يقال هذه أبيض من تلك ولا هذا أعور من ذاك وأما قوله تعالى "ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا" فهو ههنا من عمى القلب الذي تتولد الضلالة منه لا من عمى البصير الذي تحجب المرئيات عنه وقد صدع بتبيان هذا العمى قوله تعالى "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" وقد عيب على أبي الطيب قوله في صفة الشيب

أبعد بعدت بياضاً لا بياض لـه لأنت أسود في عيني من الظلم

ومن تأول له فيه جعل أسود هنا من قبيل الوصف المحض الذي تأنيثه سوداء أوأخرجه عن حيز الفعل الذي للتفضيل والترجيح بين الأشياء ويكون على هذا التأويل قد تم الكلام وكملت الحجة في قوله لأنت أسود في عيني ويكون من في قوله من الظلم لتبيين جنس السواد لا لأنها صلة أسود ومعنى قوله بياضاً لا بياض له أي ماله نور ولا علبه طلاوة وذكر شيخنا أبو القاسم الفضل بن محمد النحوي رحمه الله أنك إذا قلت ما أسود زيدا وما أسمر عمرا وما أصفر هذا الطائر وما أبيض هذه الحمامة وما أحمر هذا الفرس فسدت كل مسألة منها من وجه وصحت من وجه فتفسد جميعها إذا أردت بها التعجب من الألوان وتصح كلها إذا أردت بها التعجب من سؤدد زيد ومن سمر عمرو ومن صفير الطائر ومن كثرة بيض الحمامة ومن حمر الفرس وهو أن ينتن فوه من البشم

-**ويقولون امتلأت بطنه**- فيؤنثون البطن وهو مذكر في كلام العرب بدليل قول الشاعر

فإنك إن أعطيت بطنك سؤلـه وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وأما قول الشاعر

فإن كلابا هذه عشرة أبطـن وأنت برئ من قبائلها العشر

فإنه عني بالبطن القبيلة فأنثه على معنى تأنيثها كما ورد في القرآن "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فأنت المثل وهو مذكر لما كان بمعنى الحسنة ونظير تأنيثهم البطن وهو مذكر تأنيثهم الألف أيضاً في العدد فيقولون قبضت ألفاً تامة والصواب أن يذكر فيقال ألف تام كما قالت العرب في معناه ألف صتم وألف قرع والدليل على تذكير الألف قوله تعالى "يمددكم ربكم بخمسة آلاف "والهاء في باب العدد تلحق بالمذكر وتحذف من المؤنث وأما قولهم هذه ألف درهم فلا يشهد ذلك بتأنيث الألف لأن الإشارة وقعت إلى الدراهم وهي مؤنثة فكان تقدير الكلام هذه الدراهم ألف.

-**ويقولون فعلته لإحازة الأجر**- والصواب أن يقال لحيازة الأجر بدليل أن الفعل المشتق منه حاز ولو

كانت الهمزة أصلاً في المصدر لالتحقت بالفعل المشتق منه كما تلتحق بأراد المشتق من الإرادة وبأصاب المتفرع من الإصابة فلما قيل في الفعل حاز علم أن مصدره الحيازة مثل خاط الثوب خياطة وصاغ الخاتم صياغة وحاد عن الحرب حيادة وحكى الأصمعي قال سألت بعض الأعراب عن ناقته فأنشد يقول

كانت تقيد حين تنزل منـزلا فاليوم صار لها الكلال قيودا
لن تستطيع عن القضاء حيادة وعن المنية لن تصيب محيدا
القوم كالعيدان يفضل بعضهم بعضا كذاك يفوق عود عودا

فأما قولهم في المثل أساء سمعا فأساء جابة فالجابة هنا هي الاسم والمصدر الإجابة وهذا المثل يضرب لمن يخطئ سمعاً فيسئ الإجابة وأصله أنه كان لسهيل بن عمرو ابن مضعوف فرآه إنسان مار فقال له أين أمك يريد أين قصدك فظن أنه يسأل عن أمه فقال ذهبت تطحن فقال أساء سمعاً فأساء جابة ونظير الجابة في كلامهم الطاقة والطاعة والغارة ومصادر أفعالها الإطاقة والإطاعة والإغارة -ويقولون للخبيث الدخلة ذاعر بالذال المعجمة-فيحرفون المعنى فيه لأن الذاعر هو المفزع لاشتقاقه من الذعر فأما الخبيث الدخلة فهو الداعر بالدال المهملة لاشتقاقه من الدعارة وهي الخبث ومنه قول زميل بن أبير لخارجة بن ضرار

أخارج هلا إذ سفهت عشيرة كففت لسان السوء أن يتدعرا

أي هلا حين سفهت عشيرتك كففت ألسنتهم عن التفوه بالسفه والتلفظ بخبائث القذع ويقال للعود الكثير الدخان عود داعر ودعر وهو يرجع للمعنى الأول ومنه ما أنشده ابن الأعرابي في أبيات المعاني

ولكل غرة معشر من قـومـه دعر يهجن سـعـيه ويعـيب
ولولا سواه لجررت أوصالـه عرج الضباع وصد عنه الذيب

وفسر قوله لولا سواه أي إنما يكرم لغيره الذي لولاه لقتل حتى يصير طعمة للضباع التي هي أضعف السباع ونبه بقوله :وصد عنه الذئب على أن الذئب يعاف فريسة غيره ولا يأكل إلا مما يفترسه بنفسه ونظير هذا التحريف تحريفهم قول الشاعر

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخـصـوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغـياً إنـه لـدمـيم

فينشدونه ذميم بالذال المعجم لتوهمهم أن اشتقاقه من الذم وهو بالدال المبهمة لاشتقاقه من الدمامة وهي القبح وإلى هذا نحا الشاعر إذ بقباحة الوجه تتعايب الضرائر ونقيض هذا التصحيف أنهم يلفظون بالدال المغفلة في الزمرذ والجرذ والنواجذ والجرذ وهو داء يعترض في قوائم الدابة وهذه الكلمات الأربع هن بالذال المعجمة لا المبهمة وقد ألحق بها أبو محمد بن قتيبة اسم سذوم المضروب به المثل في جور الحكم ومن الكنايات المستحسنة والمعاريض المستملحة ما حكي أن عجوزاً وقفت على قيس بن سعد فقالت له أشكو إليك قلة الجرذان فقال لها ما أحسن هذه الكناية والله لأكثرنّ جرذان بيتك وأمر بأحمال من تمر ودقيق واقط وزبيب وقد نطقت العرب في عدة ألفاظ بالدال والذال فقالوا لمدينة السلام بغداذ وبغداد وللرجل المجرب منجذ ومنحد وللدواهي القنافذ والقنادع وللضئيل الحقير الشخص مذل ومدل وللعنكبوت الخذرنق والخدرنق وللقنفذ ابن انقذ وابن انقد وللحمى أم ملذم وملدم فمن أعجمها فاشتقاقه من لذم به إذا اعتلق به ومن لم يعجمها فاشتقاقه من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمار ولما يجذف به الملاح المجذاف والمجداف ولضرب من مشى الخيل الهيذبي والهيدبي ولأيام الحر المعروفة بوقدات سهيل المعتذلات والمعتدلات وذكر المفضل بن سلمى الضبي في كتاب الطيب أن من أسماء الزعفران الجاذي والجادي وقالوا من الأفعال ذففت على الجريح ودففت على الجريح ودففت أي أجهزت عليه وخرذلت اللحم وخردلته أي قطعته وفرقته واقذحرّ الرجل واقدحرّ إذا غضب وتهيأ للشر وامذقر القوم وامدقروا إذا تفرقوا واذرعفت الإبل وادرعفت إذا ندب وجذف الطائر وجدف إذا أسرع تحريك جناحيه في طيرانه وما ذقت عذوفاً ولا عدوفاً أي ما ذقت شيئاً وقد قيل

فيهما عذافاً وعدافاً وقد استدف الشيء واستذف بمعنى اطرد واستتبت إلا أن عبد الرحمن بن عيسى الهمداني نص في ألفاظه على أنه بالذال المعجمة لاشتقاقه من الذفيف وهو السريع الحركة وحكى أبو القاسم بن الحسن بن بشر الآمدي مصنف كتاب الموازنة بين الطائيين قال سألت أبا بكر بن دريد عن الكاغد فقال يقال بالدال والذال والظاء المعجمة وطابق ثعلب عليه ويقال أيضاً جذ الحبل وجده أي قطعه ومنه قوله تعالى "عطاء غير مجذوذ ويقال شئ جديد وجذيذ أي مقطوع ومن أبيات المعاني

أبي حبي سليمى أن يبيدا وأمسى حبلها خلقاً جديدا

أي مقطوعاً ومما يلتحم بهذا الفصل قول الزاجر "كيف تراني أذريّ وأدريّ " فالأول بذال معجمة لأنه افتعل من ذريت تراب المعدن والثاني بدال مبهمة لأنه افتعل من دراه أي ختله فيقول كيف تراني أذري التراب واختل مع ذلك هذه المرأة بالنظر إليها إذا غفلت يقال ذرته الريح تذروه وتذريه -ويقولون شوشت الأمر وهو مشوش- والصواب أن يقال فيه هوشت وهو مهوش لأنه من الهوش وهو اختلاط الشر ومنه الحديث "إياكم وهوشات الأسواق" وجاء في خبر آخر من أصاب مالا من مهاوش أذهبه الله في نهابر يعني بالمهاوش التخاليط وبالنهابر المهالك وقد روى من أصاب مالاً من نهاوش وهو في معناه -ويقولون في ضمن أدعيتهم لمن يخاطب أو يكاتب بلغك الله المأثور ويعنون به ما يؤثره المدعو له- فيوهمون فيه إذ ليس هو في معنى المؤثر ولا اشتقاق لفظة منه لأن المأثور هو ما يأثره اللسان لا ما يؤثره الإنسان لاشتقاق لفظه من أثرت الحديث أي رويته لا من آثرت الشيء أي اخترته وعلى معنى الرواية فسر قوله تعالى إن هذا إلا سحر يؤثر أي يرويه واحد بعد واحد وينقله مخبر إلى مخبر وقد يشتمل الخبر على المفروح به والمحزون منه فلا يدل معنى المأثور على إخلاص الدعاء لمن دعا له به لتجويز أن تؤثر المذمات والمساآت عنه اللهم إلا أن يجعل صفة لدعاء محبوب فيقال أولاك الله اللطف المأثور وما أشبه ذلك فتصير حينئذ الدعوة دعوتين والمدعو له بصدد حسنتين ومن أوهامهم أيضاً في تغيير صيغة المفاعيل وهو من مفاضح اللحن الشنيع قولهم قلب متعوب وعمل مفسود ورجل مبغوض ووجه القول أن يقال قلب متعب وعمل مفسد ورجل مبغض لأن أصول أفعالها أفعال رباعية ومفعول الرباعي يبنى على مفعل فكما يقال أكرم فهو مكرم وأضرم فهو مضرم كذلك يقال أتعب فهو متعب وأفسد فهو مفسد وأبغض فهو مبغض وأخرج فهو مخرج

ويقولون انضاف الشيء إليه وانفسد الأمر عليه-وكلا اللفظين معرة لكاتبه والمتلفظ به إذ لا مساغ له في كلام العرب ولا في مقاييس التصريف ووجه القول أن يقال أضيف الشيء إليه وفسد الأمر عليه والعلة في امتناع انفعل منهما أن مبنى فعل المطاوعة المصوغ على انفعل أن يأتي مطاوع الثلاثية المتعدية كقولك سكبته فانسكب وجذبته فانجذب وقدته فانقاد وسقته فانساق ونظائر ذلك وضاف وفسد إذا عديا بهمزة النقل فقيل أضاف وأفسد صارا رباعيين فلهذا امتنع بناء انفعل منهما فإن قيل فقد نقل عن العرب ألفاظ من أفعال المطاوعة بنوها من أفعل فقالوا انزعج وانطلق وانقحم وانحجر وأصولها أزعج وأطلق وأقحم وأحجر فالجواب عنه أن هذه شذت عن القياس المطرد والأصل المنعقد كما شذّ قولهم انسرب الشيء المبني من سرب وهو لازم والشواذ تقصر على السماع ولا يقاس عليها بالإجماع -ويقولون للمأمور بالبر والشم بر والدك بكسر الباء وشم يدك بضم الشين- والصواب أن يفتحا جميعاً لأنهما مفتوحان في قولك يبر ويشم وعقد هذا الباب أن حركة أول فعل الأمر من جنس حركة ثاني المضارع إذا كان متحركاً فتفتح الباء في قولك بر أباك لانفتاحها في قولك يبر وتضم الميم في قولك مد الحبل لانضمامها في قولك ببر وتضم الميم في قولك يمد وتكسر الخاء في قولك خف في العمل لانكسارها في قولك يخف وإنما اعتبر بحركة ثانية دون أوله زائد والزائد لا اعتبار به اللهم إلا أن يسكن ثاني الفعل المضارع

كالضاد من يضرب والسين من يستخرج فتجتلب همزة الوصل لفعل الأمر المصوغ منه ليمكن افتتاح النطق به كقولك اضرب استخرج وهذا الحكم مطرد في جميع أمثلة الأمر المصوغة من الأفعال المضارعة وإنما صيغ مثال الأمر من الفعل المضارع دون الماضي لتماثلهما في الدلالة على الزمان المستقبل وأما جنس حركة آخر الفعل المضعف في الأمر والجزم كبيت جرير

فغض الطرف إنك من بيت نمير فلا كعبا بلـغـت ولا كـلابـا

فقد جوز كسر الضاد من غض لالتقاء الساكنين وفتحهما لخفة الفتحة وضمها على اتباع الضمة قبلها وهو أضعفها -ويقولون فلان أشر من فلان- والصواب أن يقال فلان شر من فلان بغير ألف كما قال تعالى"إن شر الدواب عند الله الصم البكم" وعليه قول الزاجر

إن بنيّ ليس فيهـم بـرّ وأمهم مثلهـم أو شـرّ

إذا رأوها نبحتني هرواً

وفي البيت الأخير شاهد على أن المسموع نبحته الكلاب لا كما تقول العامة نبحت عليه وكذلك يقال فلان خير من فلان بحذف الهمزة لأن هاتين اللفظتين كثر استعمالهما في الكلام فحذفت همزتاهما للتخفيف ولم يلفظوا بهما إلا في فعل التعجب خاصة كما صححوا فيه المعتل فقالوا ما أخير زيد وما اشر عمرا كما قالوا ما أقول زيدا وكذلك أثبتوا الهمزة في لفظة الأمر فقالوا أخير بزيد وأشرر بعمرو كما قالوا أقول به والعلة في إثباتها في فعلي التعجب والأمر أن استعمال هاتين اللفظتين اسما أكثر من استعمالهما فعلا فحذفت في موضع الكثرة وبقيت في موضع القلة فأما قراءة أبي قلابة سيعلمون غداً من الكذاب الأشر فقد لحن فيها ولم يطابق أحد عليها -ويقولون هبت الارياح مقايسة على قولهم رياح- وهو خطأ بين ووهم مستهجن والصواب أن يقال هبت الأرواح كما قال ذو الرمة

إذا هبت الارواح من نحو جانب به أهل ميّ هاج قلبي هبوبهـا

هوى تذرف العينان منه وإنمـا هوى كل نفس حيث كان حبيبها

والعلة في ذلك أن أصل ريح روح لاشتقاقها من الروح وإنما أبدلت الواو ياء في ريح للكسرة التي قبلها فإذا جمعت على أرواح فقد سكن ما قبل الواو وزالت العلة التي توجب قلبها ياء فلهذا وجب أن تعاد إلى أصلها كما أعيدت لهذا السبب في التصغير فقيل رويحة ونظير قولهم ريح وأرواح قولهم في جمع ثوب وحوض ثياب وحياض فإذا جمعوها على أفعال قالوا أثواب وأحواض فان قيل فلم جمع عيد على أعياد وأصله الواو بدلالة اشتقاقه من عاد يعود فالجواب عنه أن يقال أنهم فعلوا ذلك لئلا يلتبس جمع عيد بجمع عود كما قالوا هو أليط بقلبي منك واصله الواو ليفرقوا بينه وبين قولهم وهو ألوط من فلام وكما قالوا هو نشيان للخبر ليفرقوا بينه وبين نشوان من السكر ومما يعضد أن جمع ريح على أرواح ما روي أن ميسون بنت بحدل لما اتصلت بمعاوية رحمه الله ونقلها من البدو إلى الشأم وكانت تكثر الحنين إلى أناسها والتذكر لمسقط رأسها فاستمع عليها ذات يوم وهي تنشد

لبيت تخفـق الأرواح فـيه أحب إليّ من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عـينـي أحب إليّ من لبس الشفوف

وأكل كسيرة في كسر بيتي أحب إليّ من أكل الرغيف

وأصوات الرياح من كل فج أحب إليّ من نقر الدفوف

وكلب ينبح الطراق دونـي أحب إليّ من قط ألـوف

وبكر يتبع الأظعان صعـب أحب إليّ من بغل زفوف

وخرق من بني عمي نحيف أحب إليّ من علج عنـيف

فلما سمع معاوية الأبيات قال لها ما رضيت ابنة بجدل حتى جعلتني علجا عنيفاً -ويقولون باقلي مدود وطعام مسوس وخبز مكرج ومتاع مقارب ورجل موسوس-فيفتحون ما قبل الحرف الأخير من كل كلمة والصواب كسره فيقال طعام مسوس ورجل موسوس ونظائرهما ويقال في الفعل من المدود داد واداد ودود مديد ومن هذا النوع قولهم للبسرة إذا بدا الأرطاب

في أسفلها مذنبة بفتح النون والصواب أن يقال فيها مذنبة بكسر النون ويحكى أن الرشيد رحمه الله لما جمع بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا عنده علم اليزيدي أنه يقصر عنه في النحو فابتدره فقال كيف تقول تمرة مذنّبة أو مذنبّة فلم يتنبه الكسائي لقوله تمرة بل ظن أنه قال بسرة فقال أقول مذنبة فقال له إذا كان ماذا قال إذا بدا الأرطاب من أسفلها فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال أنا أبو محمد اليزيدي وقد أخطأت يا شيخ التمرة لا تذنب وإنما البسرة تذنب فغضب عليه الرشيد وقال أتكتني بمجلسي وتسفه على الشيخ والله إن أخطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحب إلي من صواب مع قبح أدبك فقال يا أمير المؤمنين إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ فأمر بإخراجه قال الشيخ الأجل أبو محمد رحمه الله وليس سهو الكسائي فيما أزلقه فيه اليزيدي مما يقدح في فضله أو ينبئ عن قصور عمله إذ لا خفاء باشتمال علمه على أن البسرة إذا ارطبت من قبل ذنبها قيل لها مذنبة فإذا بلغ الارطاب نصفها قيل لها مجزعة فإذا بلغ ثلثها قيل لها حلقانة ومحلقنة وإذا رطبت جميعها قيل لها معوة

-ويقولون فعل الغير ذلك- فيدخلون على غير آلة التعريف والمحققون من النحويين يمنعون من إدخال الألف واللام عليه لأن المقصود في إدخال آلة التعريف على الاسم النكرة أن تخصصه بشخص بعينه فإذا قيل الغير اشتملت اللفظة على ما لا يحصى كثرة ولم تتعرف بآلة التعريف كما أنه لا يتعرف بالإضافة فلم يكن لإدخال الألف واللام عليه فائدة ولهذا السبب لم تدخل الألف واللام عليه فائدة ولهذا السبب لم تدخل الألف واللام على المشاهير من المعارف مثل دجلة وعرفة وذكاء ونحوه لوضوح اشتهارها والاكتفاء عن تعريفها بعرفان ذواتها ونظير هذا الوهم قولهم حضرت الكافة فيوهمون فيه أيضا على ما حكاه ثعلب في ما فسره من معاني القرآن كما وهم القاضي أبو بكر بن قريعة حين استثبت على شئ حكاه فقال هذا ما ترويه الكافة عن الكافة والحافة عن الحافة والصافة عن الصافة والصواب فيه أن يقال حضر الناس كافة كما قال سبحانه وتعالى "ادخلوا في السلم كافة " لأن العرب لم تلحق لام التعريف بكافة كما لم تلحقها بلفظة معا ولا بلفظة طرا ومن حكم لفظة كافة أن تأتي متعقبة وأما تصديرها في قوله تعالى "وما أرسلناك إلا كافة للناس" فقيل أنه مما قدم لفظه وآخر معناه وأن تقدير الكلام وما أرسلناك إلا جامعاً بالإنذار والبشارة للناس كافة كما حمل عليه قوله تعالى وغرابيب سود على التقديم والتأخير لأن العرب تقدم في هذا النوع لفظ الأشهر على الأغرب كقولهم أبيض يقق وأصفر فاقع وأسود حالك وقيل أن كافة في الآية بمعنى كاف وإلحاق الهاء به للمبالغة كالهاء في علامة ونسابة ومن أوهامهم مما يدخلون عليه لام التعريف والوجه تنكيره قولهم فعل ذلك من الرأس لأن العرب تقول فعله من راس من غير أن تلحق به الألف واللام -**ويقولون هذه كبرى وتلك صغرى**- فيستعملونهما نكرتين وهما من قبيل ما لم تنكره العرب بحال ولا نطقت به إلا معرفاً حيث وقع في الكلام والصواب أن يقال فيهما هذه الكبرى وتلك الصغرى أو هذه كبرى اللآلى وتلك صغرى الجواري كما ورد في الأثر إذا اجتمعت الحرمتان طرحت الصغرى للكبرى أي إذا اجتمع أمران في أحدهما مصلحة تخص وفي الآخر مصلحة تعم قدم الذي تعم مصلحته على ما تخص منفعته وذكر شيخنا أبو القاسم الفضلي النحوي رحمه الله أن فعلى بضم الفاء تنقسم إلى خمسة أقسام أحدها أن تأتي اسماً علماً نحو حزوي والثاني أن تأتي مصدراً نحو رجعي والثالث أن تأتي اسم جنس مثل بهمى وهو نبت والرابع أن تأتي تأنيث أفعل نحو الكبرى والصغرى والخامس أن تأتي صفة محضة ليست بتأنيث أفعل نحو حبلى ومن هذا القسم قوله تعالى "قسمة ضيزى" لأن الأصل فيها ضِوزى وإذا كانت لتأنيث أفعل تعاقب عليها لام التعريف والإضافة ولم يجز أن تعرى من أحدهما وذلك نحو قولك الكبرى والصغرى وطولى

القصائد وقصرى الأراجيز قال ولم يشذ من ذلك إلا دنيا وأخرى فإنهما لكثرة مجالهما في الكلام ومدارهما فيه استعملتا نكرتين كما قالت حرقة بنت النعمان

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تنقل تارات بنا وتصرف

وأما طوبى في قولهم طوبى لك وجلي في قول النهشلي

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة يوماً سراة كرام الناس فادعينا

فانهما مصدران كالرجعى وفعلى المصدرية لا يلزم تعريفها وأما طوبى في قوله تعالى "طوبى لهم وحسن مآب" فقيل إنها من أسماء الجنة وقيل بل شجرة تظل الجنان كلها وقيل بل هي مصدر مشتق من الطيب وعلى اختلاف هذا التفسير لا يحتاج إلى التعريف وقد عيب على أبو نواس قوله

كأن كبرى وصغرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

ومن تأول له فيه جعل من في البيت زائدة على ما أجازه أبو الحسن الأخفش من زيادتها في الكلام الواجب وأول عليه قوله تعالى "من جبال فيها برد" وقال تقديره فيها برد وقد اتفق بحضرة المأمون تحقيق هذا التشبيه المودع بيت أبي نواس على وجه المجاز وذاك أنه حين بنى على بوران بنت الحسن بن سهل فرش له حصير منسوج بالذهب ثم نثر على قدميه لآل كثيرة فلما رأى تساقط الآلى المختلفة على الحصير النسيج قال قاتل الله أبو نواس كأنه شاهد هذا الحال حتى شبه بها حباب كأسه وأنشد البيت المستطرد به يضاهي أيضاً هذه الحكاية في طرفة اتفاقها وملحة مساقها ما حكى أن عبد الملك بن مروان حين أزمع النهود إلى محاربة مصعب بن الزبير ناشدته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه وأن يستنيب غيره في حربه ولم تزل تلح عليه في المسألة وهو يمتنع من الإجابة فلما يئست منه أخذت في بكائها حتى أعول حشمها لاعوالها فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبى جمعة يعنى كثيراً وكأنه رأى موقفنا هذا حين قال

إذا ما أراد الغزو لم يثن همه حصان عليها نظم در يزينها

نهته فلما لم تر النهى عاقـه بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم عزم عليها أن تقصر وخرج -ويقولون لمن أخذ يميناً في سعيه قد تيامن ولمن أخذ شمالاً في سعيه قد تشاءم- والصواب أن يقال فيهما تيمن وتشأم وأن يقال للمسترشد تيمن يا هذا وتشأم أي خذ يميناً وشمالاً فأما معنى تيامن وتشاءم فأن يأخذ نحو اليمين والشأم وإذا أتاهما قيل أيمن وأشأم كما يقال انجد واتهم إذا أتى نجداً وتهامة وقد يقال في معنى آخر تيمن الرجل إذا توسد يمينه ويكنى به أيضاً عمن مات لأنه إذا مات اضجع على يمينه ومنه ما أنشده ثعلب في معانيه

إذا المرء عليى ثم أصبح جلده كرخص غسيل فالتيمن أروح

ومعنى عليى تشنجت علياؤه وهي العصبة في العنق وأراد هذا الشاعر أنه إذا انتهى في الهرم إلى هذا الحد فالموت أروح له -ويقولون هو مشوم- والصواب أن يقال مشؤم بالهمز وقد شئم إذا صار مشؤما وشأم أصحابه إذامسهم شؤم من قبله كما يقال في نقيضه يمن إذا صار ميموناً ويمن أصحابه إذا أصابهم يمنه واشتقاق الشؤم من الشأمة وهي الشمال وذاك أن العرب تنسب الخير إلى اليمين والشر إلى الشمال ولهذا تختار أن تعطى بيمينها وتمنع بشمالها وعليه فسر قوله تعالى أنكم تأتوننا عن اليمين أي تصدوننا عن فعل الخير وتحولون بيننا وبينه ومن كلام العرب فلان عندي باليمين أي بالمنزلة الحسنة وفلان عندي بالشمال أي بالمنزلة الدنية وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله

أبنتى أفي يمنى يديك جعلتنـي فأفرح أم صيرتني في شمالك

وقيل أنه أراد أجعلتني مقدماً عندك أم مؤخراً لآن عادة العرب في العدد أن تبدأ باليمين فإذا أكملت عدة الخمسة وثنت عليها الخمس من اليمين نقلت العدد إلى الشمال ومما يكنى عنه بالشمال قولهم للمنهزم نظر عن شماله ومنه قول الحطيئة

وفتيان صدق من عديّ كأنـهـم صفائح بصرى علقت بالعواتـق

إذا قرعوا لم ينظروا عن شمالهم ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

وقاموا إلى الجرد الجياد فألجمـوا وشدوا على أوساطهم بالمناطـق

واختلف المفسرون في تأويل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة فقيل كنى بالفريقين عن أهل السعادة وأهل الشقاوة وقيل بل المراد بأصحاب الميمنة المسلوك بهم يمنة إلى الجنة وبأصحاب المشأمة المسلوك بهم شأمة إلى النار وقيل أن أصحاب الميمنة هم الميامين على أنفسهم وأصحاب المشأمة هم المشائيم عليها والمشائيم جمع مشؤم ومنه قول الشاعر

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا بين أغرابها

وللنحويين كلام في جر ناعب وخلاصته أن الشاعر توهم دخول الباء في مصلحين ثم عطف عليه كما أخذ زهير بمثل ذلك في قوله

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً

فجرّ لفظة سابق لتوهمه دخول الباء في مدرك المعطوف عليه

ويقولون اتخذت سرداباً بعشر درج-فيفتحون السين من سرداب وهي مكسورة في كلام العرب كما يقال شمراخ وسربال وقنطار وشملال وما أشبه ذلك مما جاء على فعلال بكسر الفاء ثم أن العرب فرقت بين ما يرتقي فيه وينحدر فيه فسمت ما يرتقي فيه إلى العلو درجاً وما ينحدر فيه إلى السفل دركا ومنه قوله تعالى أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وجاء في الآثار أن الجنة درجات والنار دركات -ويقولون في الاستخبار كم عبيدك مقايسة على ما يقال في الخبر كم عبيد لك فيوهمون فيه إذ الصواب أن يوحد المستخبر عنه بكم فيقال كم عبداً لك لأن كم لما وضعت العدد المبهم أعطيت حكم نوعي العدد فجر الاسم الواقع بعدها في الخبر تشبيهاً بالعدد المجرور في الإضافة ونصب في الاستفهام وتشبيها بالعدد المنصوب على التمييز فلهذه العلة جاز أن يقع بعد كم الخبرية الواحد والجمع كما يقال ثلاثة عبيد وألف عبد ولزم في الاستفهامية أن يقع بعدها الواحد كما يقع بعد أحد عشر إلى تسعة وتسعين وامتنع أن يقع بعدها الجمع لأن العدد بعدها منصوب على التمييز والمميز بعد المقادير لا يكون جمعا -ويقولون في جمع أرض أراض- فيخطئون فيه لأن الأرض ثلاثية و الثلاثي لا يجمع على الفاعل والصواب أن يقال في جمعها أرضون بفتح الراء وذلك أن الهاء مقدرة في أرض فكان أصلها أرضة وإن لم ينطق بها ولأجل تقدير هذه الهاء جمعت بالواو والنون على وجه التعويض لها عما حذف منها كما قيل في جمع عضة عضون وفي جمع عزة عزون وفتحت الراء في الجمع لتؤذن بالفتحة بأن أصل جمعها أرضات كما يقال نخلة ونخلات وقيل بل فتحت ليدخلها ضرب من التغيير كما كسرت السين في جمع سنة فقيل سنون وهذا الجمع الذي بالواو والنون وضع في الأصل لمن يعقل من الذكور إلا أنه قد جمع عليه عدة من الأسماء المحذوف منها على وجه جبرها والتعويض لها فقالوا سنة وسنون وعشرة وعشرون وثبة وثبون وكرة وكرون وعضة وعضون وفي القرآن الذين جعلوا القرآن عضين وقد في المحذوف فقيل أنه الهاء لاشتقاقه من العضبهة وهو البهتان وقيل بل الواو لاشتقاقه من التعضية التي هي بمعنى التجربة أي عضوا القرآن أعضاء فآمنوا منه ببعض وكفروا ببعض ونسبوا بعضه إلى سحر وبعضه إلى شعر -ويقولون قد حدث أمر- فيضمون الدال من حدث مقايسة على ضمها في قولهم أخذه ما حدث وما قدم فيحرفون بنية الكلمة المقولة ويخطئون في المقايسة المعقولة لأن أصل بنية هذه الكلمة حدث على وزن فعل بفتح العين كما أنشدني بعض أدباء خراسان لأبي الفتح البستي

جزعت من أمر فظيع قد حدث أبو تميم وهو شيخ لا حدث
قد حبس الصلع في بيت الحدث

وإنما ضمت الدال من حدث حين قرن بقدم لأجل المجاورة والمحافظة على الموازنة فإذا أفردت لفظة حدث زال السبب الذي أوجب ضم دالها في الازدواج فوجب أن ترد إلى أصل حركتها وأولية صيغتها وقد نطقت العرب بعدة ألفاظ غيرت مبانيها لأجل الازدواج وأعادتها إلى أصولها عند الانفراد فقالوا الغدايا والعشايا إذا قرنوا بينهما فإن أفردوا الغدايا ردوها إلى أصلها فقالوا الغدوات وقالوا هنأني الشيء ومرأني الشيء فإن أفردوا مرأني قالوا أمرأني

وقالوا فعلت به ما ساءه وناءه فإن أفردوا قالوا أناءه وقالوا أيضاً وهو رجس نجس فإن أفردوا لفظة نجس ردوها إلى أصلها فقالوا نجس كما قال سبحانه وتعالى "إنما المشركون نجس "وكذلك قالوا للشجاع الذي لا يزايل مكانه اهيس اليس والأصل في الاهيس الاهوس لاشتقاقه من هاس يهوس إذا دق فعدلوا به إلى الياء ليوافق لفظة اليس وقد نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ألفاظ راعى فيها حكم الموازنة وتعديل المقارنة فروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للنساء المتبرزات في العيد ارجعن مأزورات غير مأجورات وقال في عوذته للحسن والحسين كرم الله وجههما أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه والأصل في مأزورات موزورات لاشتقاقها من الوزر كما أن الأصل في لامة ملمة لأنها فاعل من ألمت إلا أنه عليه الصلاة والسلام قصد أن يعادل بلفظ مأزورات لفظ مأجورات وأن يوازن بلفظ لامة لفظتي تامة وهامة ومثله قوله عليه السلام من حفنا أورفنا فليقتصر أي من خدمنا أو أطعمنا وكان الأصل اتحفنا فأتبع حفنا رفنا ويروى في قضايا علي رضي الله عنه أنه قضى في القارصة والقامصة والواقصة بالدية اثلاثا وتفسيره أن ثلاث جوار ركبت إحداهن الأخرى فقرصت الثالثة المركوبة فقمصت فسقطت الراكبة ووقصت فقضي للتي وقصت أي اندق عنقها بثلثي الدية على صاحبتيها وأسقط الثلث باشتراك فعلها فيما أفضى إلى وقصها والواقصة هنا بمعنى الموقوصة وأنشد الفراء في هذا النوع

هناك أخبـية ولاج أبـوبة يخلط بالجد منه البر واللينا

فجمع الباب على أبوبة ليزاوج لفظة أخبية -ويقولون هم عشرون نفراً وثلاثون نفراً فيوهمون فيه لأن النفر إنما يقع على الثلاثة من الرجال إلى العشرة فيقال هم ثلاثة نفر وهؤلاء عشرة نفر ولم يسمع عن العرب استعمال النفر فيما جاوز العشرة بحال ومن كلامهم في الدعاء الذي لا يراد وقوعه بمن قصد به لا عدّ من نفره كما قال امرؤ القيس

فهو لا تنمى رميتـه ما له لا عدّ من نفره

فظاهر كلامه أنه دعاء عليه بالموت الذي به يخرج عن أن يعد من قومه وأخرج هذا القول مخرج المدح له والإعجاب بما بدا منه لأنه يقال رمى الصيد فأصماه إذا قتله مكانه ورماه فأنماه إذا غاب عن عينيه ثم وجده ميتاً وفي الحديث أن رجلاً أتاه عليه السلام فقال إني أرمي الصيد فأصمى وأنمى فقال له ما أصميت فكل وما أنميت فلا تأكل وإنما نهاه عن أكل ما أنماه لجواز أن يكون مات من غير مرماه ونظير قولهم لا عد من نفره قولهم للشاعر المفلق قاتله الله وللفارس المحرب لا أب له وعلى هذا فسر أكثرهم قوله صلى الله عليه وسلم لمن استشاره في النكاح عليك بذات الدين تربت يداك وإلى هذا المعنى أشار القائل بقوله

أسب إذا أجدت القول ظلما كذلك يقال للرجل المجيد

يعني أنه يقال له عند إجادته واستحسان براعته قاتله الله فما أشعره ولا أب له فما أمهره وعند أكثر أهل اللغة أن الرهط بمعنى النفر في أنه لا يتجاوز العشرة كما جاء في القرآن وكان في المدينة تسعة رهط إلا أن الرهط يرجعون إلى أب واحد بخلاف النفر وإنما أضيف العدد إلى النفر والرهط لأنهما اسمان للجماعة فكأن تقدير قوله تعالى تسعة رهط أي تسعة رجال ولو كان بمعنى الواحد لما جازت الإضافة إليه كما يقال تسعة رجل وذكر ابن فارس في كتاب المجمل أن الرهط يقال إلى الأربعين كالعصبة -ويقولون في جمع حاجة حوائج فيوهمون فيه كما وهم بعض المحدثين في قوله

إذا ما دخلت الدار يوماً ورفعت ستورك لي فانظر بما أنا خارج
فسيان بيت العنكبوت وجوسـق رفيع إذا لم تقض فيه الحـوائج

والصواب أن يجمع في أقل العدد على حاجات كقول الشاعر

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنـين

وأن يجمع في أكثر العدد على حاج مثل هامة وهام وعليه قول الراعي

ومرسل رسول غير متـهـم وحاجة غير مزجاة من الحاج

وأنشدت لأبي حسين بن فارس اللغوي

وقالوا كيف أنت فقلت خـير تقضي حاجة وتفوت حـاج
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج
نديمي هرتي وسرور قلبـي دفاتر لي ومعشوقي السراج

ويقولون لما يكثر ثمنه مثمن فيوهمون فيه لأن المثمن على قياس كلام العرب هو الذي صار له ثمن واو قل كما يقال غصن مورق إذا بدا فيه الورق وشجر مثمر إذا أخرج الثمرة والمراد به غير هذا المعنى ووجه الكلام أن يقال فيه ثمين كما يقال رجل لحيم إذا كثر لحمه وكبش شحيم إذا كثر شحمه وفي كلام بعض البلغاء قدر الأمين ثمين وقد فرق أهل اللغة بين القيمة والثمن فقالوا القيمة ما يوافق مقدار الشيء ويقاله والثمن ما يقع به التراضي مما يكون وفقاً له أو أزيد عليه أو انقصص منه فأما قول الشاعر

وألقيت سهمي وسطهم حين أوحشوا فما صار لي في القسم إلا ثمينهـا

فإنه أراد به الثمن كما يقال في النصف نصيف وفي العشر عشير -ويقولون هو قرابتي-والصواب أن يقال ذو قرابتي كما قال الشاعر

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور

وأورد أبو بكر محمد بن أبي القاسم الأنبا ري هذا البيت في مساق حكاية هي من طرف الأعاجيب وعبر التجاريب فروى بإسناده إلى هشام ابن الكلبي قال عاش عبيد بن شرية الجر همي ثلاثمائة سنة وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بالشام وهو خليفة فقال له حدثني بأعجب ما رأيت قال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناي بالدموع فتمثلت بقول الشاعر

يا قلب إنك من أسـمـاء مـغـرور فاذكر وهل ينفعنك الـيوم تـذكـير
قد بحت بالحب ما تخفيه مـن أحـد حتى جرت لك إطلاقا محـاضـير
فلست تدري وما تدري أعاجـلـهـا أدنى لرشدك أم مـا فـيه تـأخـير
فاستقدر اللـه خـيرا وارضـين بـه فبينما العسـر إذا دارت مـياسـير
وبينما المرء في الأحياء مغـتـبـط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير
يبكي الغريب عليه لـيس يعـرفـه وذو قرابته في الحـي مـسـرور

قال فقال لي رجل أتعرف من يقول هذا الشعر قلت لا قال إن قائله هذا الذي دفناه الساعة وأنت الغريب الذي يبكي عليه ولست تعرفه وهذا الذي سار عن قبره هو أمس الناس رحما به وأسرهم بموته فقال له معاوية لقد رأيت عجباً فمن الميت قال عثير بن لبيد العذري وقيل عثمان بن لبيد العذري وفي كتاب المعمرين أن الميت حريث بن جبلة -ويقولون في جمع رحى وقفا أرحية وأقفية- والصواب فيهما أرحاء وأقفاء كما روى الأصمعي أن أعرابياً ذم قوماً فقال أولئك قوم سلخت أقفاؤهم بالهجو ودبغت جلودهم باللؤم وأنشد ابن حبيب

دعتني النساء الهاملات عيونهـا ومالي من بعد النسـاء بـقـاء
على حالة يعرف الكلب أهـلـه لهـن أنـين تـارة وعــواء
فقلت لهم خلوا سبيل نـسـائنـا فقالوا وإني للـذلـيل نـسـاء
فقلت أبينا ما تقـولـون إنـنـا بنوا الحرب فينا لـلإبـاء إبـاء
إذا الجحفات السمر كن وقاءكـم فليس لنا إلا الـصـدور وقـاء
فولوا بأقفاء الإمـاء كـأنـهـم لدى الروع معزى ما لهن رعاء

وإنما جمع رحى وقفا عفى أرحاء وأقفاء لأنهما ثلاثيان والثلاثية على اختلاف صيغها تجمع على أفعال لا على أفعلة وإنما يقال على اختلاف لأنه يجمع على أفعلة نحو قباء وأقبية وغراب وأغربة وكساء وأكسية وعلى مفاد هذا الأصل لا يجمع ندى على أندية فأما قول ابن محكان

في ليلة من جمـادى ذات أنـدية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

فقد حمله بعضهم على الشذوذ وبعضهم على وجه ضرورة الشعر وقال آخرون بل هو جمع الجمع فكأنه جمع ندى على نداء مثل جمل وجمال ثم جمع نداء على أندية مثل رشاء و أرشية وجوز أبو علي الفارسي أن يكون جمع ندى على أند كما يجمع فعل على أفعل نحو

زمن وأزمن ثم ألحقه علامة التأنيث التي تلحق الجمع في مثل قولك ذكورة وجمالة فصار حينئذ أندية وكان أبو العباس المبرد يرى أنه جمع نديّ وهو المجلس لا جمع ندى واحتج في ذلك بأن من عادة العرب عند اختلاف الأنواء وامحال السنة الشهباء أن تبرز أماثل كل قبيلة إلى ناديهم فيواسوا بفضلات الزاد ويصرفوا ما يقمر من الميسر إلى محاويج الحيّ وهذا هو نفع الميسر المقرون بنفع الخمر في قوله تعالى "وإثمهما أكبر من نفعهما" -ويقولون في جمع أوقية أواق على وزن أفعال- فيغلظون فيه لأن ذلك جمع أواق وهو الثقل فأما أوقية فتجتمع على أواقيّ بتشديد الياء كما تجمع امنية على أمانيّ وقد خفف بعضهم فيها التشديد فقال أواق كما قيل في تخفيف صحارى صحار -ويقولون لما يصان هو مصان-والصواب فيه مصون كما قال الشاعر

بلاء لـيس يشـبـهـه بـلاء عداوة غير ذي حـسـب ودين
يبيحك منه عرضاً لم يصـنـه ويرتع منك في عرض مصون

والأصل في مصون مصووون على وزن مضروب فنقلت حركة الواو إلى ما قبلها فاجتمعت واوان ساكنتان فحذفت إحداهما وعند سيبويه أن المحذوفة الواو الثانية التي هي واو المفعول الزائدةوأن الباقية هي الواو الأصلية المجتلبة من الصون وعند أبي الحسن الأخفش أن المحذوفة هي الأولى وأن الباقية هي واو المفعول التي تدل على المعنى فإن قبل فلأي معنى فعلوا ذلك فالجواب أنهم قصدوا إعلال المفعول كما أعل الفعلان والفاعل وذلك أن الأصل في صان صون بفتح العين فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها كما فعل في قال الذي أصله قول والدليل على أن الأصل فيه فعل بفتح العين أنك تقول صنت الثوب فتعديته إلى المفعول تدل على أنه فعلت لأن فعلت بضم العين لا يتعدى إلى المفعول بحال إذ لا يقال كرمت زيداً ثم إنهم قالوا في مضارعه يصون والأصل على وزن يحزن فنقلوا حركة الواو إلى ما قبلها ثم إنهم أعلوا الفاعل منه فقالوا صائن والأصل فيه صاون فلما أعلوا الفعلين والفاعل أعلوا المفعول به أيضاً ليلحق في الإعلال بحيز ومن هذا الباب قولهم رجل مأووف العقل فيلفظون به على الأصل ووجه القول أن يقال مؤوف العقل على وزن مخوف وكذلك يقال زرع مؤوف وكلاهما مأخوذ من الآفة ونقلت الكلمة في مؤوف على ما بيناه في مصون وشذ من هذا الباب قولهم مسك مدؤوف وثوب مصوون فلفظوا به على الأصل وهو مما لا يعبأ به ولا يقاس عليه ومن شجون هذا النوع قولهم فرس مقاد وشعر مقال وخاتم مصاغ وبيت مزار والصواب أن يقال فيها مقود ومقول ومصوغ ومزور كما حكي أن الخليل بن أحمد عاد تلميذاً له فقال تلميذه إن زرتنا فبفضلك أو زرناك فلفضلك فلك الفضل زائراً ومزوراً ومثله قول جميل

زورا بثينة والحبيب مزور إن الزيارة للحبيب يسير

أراد بالزيارة المزار فلهذا ذكر الخبر على المعنى كما ذكر آخر الحوادث حين أراد بها الحدثان فقال

فإن تسأليني عن لمتـي فإن الحوادث أزرى بها

ومن هذا النمط قولهم مبيوع ومعيوب والصواب أن يقال فيهما مبيع ومعيب على الحذف كما جاء في القرآن في نظائرهما وقصر مشيد وكانت الجبال كثيبا مهيلا فقال مشيد ومهيل على الحذف والأصل فيهما مشيود ومهيول وعند سيبويه أن المحذوف هو الواو ثم كسر ما قبل الياء للتجانس وقد شذ من ذلك قولهم رجل مدين ومديون ومعين ومعيون أي أصابته العين ومنه قول الشاعر

نبئت قومك يزعمونك سيدا وأخال أنك سيد معـيون

وجميع ذلك مما يهجن استعماله إلا في ضرورة الشعر التي يجوز فيها ما حظر لإقامة الوزن -ويقولون المال بين زيد وبين عمرو-بتكرير لفظة بين فيوهمون فيه والصواب أن يقال بين زيد وعمرو كما قال سبحانه "من بين فرث ودم" والعلة فيه أن لفظة بين تقتضي الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة فأما قوله تعالى "مذبذبين بين ذلك" فإن لفظة ذلك تؤدى عن شيئين وتنوب مناب لفظتين وإن كانت مفردة ألا ترى أنك تقول ظننت ذلك فتقيم لفظة ذلك مقام مفعولي ظننت وكأن تقدير الكلام في الآية مذبذبين بين الفريقين وقد كشف سبحانه هذا التأويل بقوله لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ونظيره لفظة أحد في قوله تعالى "لا نفرق بين أحد من رسله" وذلك أن لفظة أحد تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع وليست بمعنى واحد بدليل قوله تعالى "يا

نساء النبي لستن كأحد من النساء" وكذلك إذا قلت ما جاءني أحد فقد اشتمل هذا النفي على استغراق الجنس من المذكر والمؤنث وللمثنى والمجموع فإن اعترض معترض بقول امرئ القيس بين الدخول فحومل فالجواب أن الدخول اسم واقع على عدة أمكنة فلهذا جاز أن يعقب بالفاء كما يقال المال بين الاخوة فزيد ومثله قوله تعالى "يزجى سحابا ثم يؤلف بينه" وإنما ذكر السحاب وهو جمع لأنه من قبيل الجمع الذي بينه وبين واحده الهاء وهذا النوع من الجمع مثلا الشجر والسحاب والنخل والنبات يجوز تذكيره وتأنيثه كما قال سبحانه في سورة القمر "كأنهم أعجاز نخل منقعر" وقال تعالى في سورة الحاقة "كأنهم أعجاز نخل خاوية" قال الشيخ الرئيس أبو محمد رضي الله عنه وأظن أن الذي وهمهم لزوم تكرير لفظة بين مع الظاهر ما رأوه من تكريرها مع المضمر في مثل قوله عز وجل "هذا فراق بيني وبينك" وقد وهموا في المماثلة بين الموطنين وخفي عليهم الفرق الواضح بين الموضعين وهو أن المعطوف في الآية قد عطف على المضمر المجرور الذي من شرط جواز العطف عليه عند النحويين من أهل البصرة تكرير الجار فيه كقولك مررت بك وبزيد ولهذا لحنوا حمزة في قراءته "واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام حتى قال أبو العباس المبرد لو أني صليت خلف إمام فقرأ بها لقطعت صلاتي ومن تأول فيها لحمزة جعل الواو الداخلة على لفظة الأرحام واو القسم لا واو العطف وإنما لم يجز البصريون تجريد العطف على المضمر المجرور لأنه لشدة اتصاله بما جره يتنزل منزلة أحد حروفه أو التنوين منه فلهذا لم يجز العطف عليه كما لا يجوز العطف على التنوين ولا على أحد حروف الكلمة فإن قيل وكيف جاز العطف على المضمرين المرفوع والمنصوب بغير تكرير وامتنع العطف في المضمر المجرور إلا بالتكرير فالجواب عنه انه لما جاز أن يعطف ذانك الضميران على الاسم الظاهر في مثل قولك قام زيد وهو وزرت عمرا وإياك جاز أن يعطف الظاهر عليهما فيقال قام هو وزيد وزرتك وعمرا ولما لم يجز أن يعطف المضمر المجرور على الظاهر إلا بتكرير الجار في مثل قولك مررت بزيد وبك لم يجز أن يعطف الظاهر على المضمر إلا بتكريره أيضاً نحو مررت بك وبزيد وهذا من لطائف علم العربية ومحاسن الفروق النحوية -ويقولون للمتوسط الصفة هو بين البينين- والصواب أن يقال هو بين بين كما قال عبيد بن الأبرص

إنا إذا عض الثقا ف برأس صعدتنا لوينا
نحمي حقيقتنا وبعض القوم يسقط
بين بيننا

أي بين العالي والمنخفض وقد كان الأصل في هذا الكلام أن يضاف بين فلما قطع عن الإضافة وضم أحد الاسمين الآخرين وحذفت واو العطف المعترضة بينهما بنيا كما بنى العدد المركب نحو أحد عشر ونظائره واختيرت له الفتحة عند بنائه لأنها من أخف الحركات وليست هذه الفتحة التي في قولك بين بين من جنس الفتحة التي لفظه بين عند الإضافة لأن هذه فتحة إعراب بدلالة اعتقاب الجر عليها في مثل قوله تعالى "من بين فرث ودم" ومن خصائص بين الظرفية أن الضم لا يدخل عليها بحال فأما من قرأ لقد تقطع بينكم بالرفع فإنه عنى بالبين الوصل كما عنى الشاعر به البعد في قوله

لقد فرق الواشون بيني وبينها فقرت بذاك الوصل عيني وعينها
لأن لفظة بين من الأضداد

ويقولون بينا زيد قام إذ جاء عمرو- فيتلقون بيننا بإذ والمسموع عن العرب بينا زيد قام جاء عمرو بلا إذ لأن المعنى فيه بين أثناء الزمان جاء عمرو وعليه قول أبي ذؤيب

بينا تعانقه الكمأة وروغه يوما أتيح له جريّ سلقع

فقال أتيح ولم يقل إذ أتيح وهذا البيت ينشد بجر تعانقه ورفعه فمن جره جعل الألف في بيننا ملتحقة لإشباع الفتحة كالألف في قول الشاعر

فأنت من الغواية حين تدعى ومن ذم الرجال بمنتزاح

لأن الأصل فيها بين وجر تعلقه على الإضافة ومن رفع رفعه على الابتداء وجعل الألف زيادة ألحقت ببين ليوقع بعدها الجملة كما زيدت ما في بينما لهذه العلة وذكر أبو محمد بن قتيبة قال سألت الرياشي عن هذه المسألة فقال إذا ولي لفظة بين الاسم العلم رفعت فقلت بينا زيد قام جاء عمرو وإن وليها المصدر فالأجود الجر كهذه المسألة وحكى أبو القاسم الآمدي في أماليه عن أبي عثمان المازني قال حضرت أنا ويعقوب بن السكيت مجلس محمد بن عبد الملك الزيات فأفضنا في شجون الحديث إلى أن قلت كان الأصمعي يقول بينا أنا جالس إذ جاء عمرو محال فقال ابن السكيت اخطأ هذا كلام الناس قال فأخذت في مناظرته عليه وإيضاح المعنى له فقال لي محمد بن عبد الملك دعني حتى أبين له ما اشتبه عليه ثم التفت إليه وقال له ما معنى بينا فقال حين قال أفيجوز أن يقال حين جلس زيد إذ جاء عمرو فسكت فهذا حكم بينا وأما بينما فأصلها أيضاً بين فزيدت عليها ما ليؤذن أنها خرجت عن بابها بإضافة ما إليها وقد جاءت في الكلام تارة غير ملتقاة بإذ مثل بينا واستعملت تارة متلقاة بإذ وإذا اللذين للمفاجأة كما قال الشاعر " فبينما العسر إذ دارت مياسير" وكقوله في هذه القطعة

وبينما المرء في الأحياء مغـتـبـط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

فتلقى هذا الشاعر بينما في البيت الأول بإذ وفي الثاني بإذا وليس ببدع أن يتغير حكم بين بضم ما إليه لأن التركيب يزيل الأشياء عن أصولها ويحيلها عن أوضاعها ورسومها ألاترى أن رب لا يليها إلا الاسم فإذا اتصلت بها ما غيرت حكمها وأولتها الفعل كما جاء في القرآن "ربما يود الذين كفروا" وكذلك حرف لم فإذا زيدت عليها ما وهي أيضاً حرف صارت لمّا اسما في بعض المواطن بمعنى حين ووليها الفعل الماضي نحو قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطاً وهكذا قل وطال لايجوز أن يليهما الفعل إلا إذا دخلت ما عليهما كقولك طالما زرتك وقلما هجرتك ويقولون ثقل في عينه بثاء معجمة بثلاث فيصفحون فيه لأن المنقول عن العرب تفل باعجام اثنتين من فوق وحكى الفراء عن الكسائي أن العرب تقول تفل في عينه ونفث فالتفل ما صحبه شئ من الريق والنفث النفخ بلا ريق ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ونظير هذا التصحيف قولهم في الفرصاد توث بالثاء المعجمة بثلاث كما قال بعضهم

لروضة من رياض الحزن أو طرف من القرية حزن غير مـحـروث
أحلى وأشهى لعيني إن مررت بـه من كرخ بغداذ ذي الرمان والتوث

والصحيح بالتاء المعجمة باثنتين من فوق وعند بعض أهل اللغة أن الفرصاد اسم للثمرة والتوث اسم للشجرة ونقيض هذين التصحيفين قولهم لثفل ما يعصر ثجير باعجام اثنتين من فوق وهو بالثاء المعجمة بثلاث وقولهم أيضاً للوعل المسن تيتل بتائين تكتنفان الياء كلتاهما معجمة باثنتين من فوق وهو في كلام العرب الثيتل باعجام الأولى منهما بثلاث فأما قول الشاعر

وعدت فكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيثـرب

فأكثر الرواة يروونه بيثرب ويعنون به المدينة وأنكر ابن الكلبي ذلك وحقق ان الرواية بيترب بالتاء المعجمة باثنتين من فوق وهو موضع يقرب من اليمامة ويتاخم منازل العمالقة واحتج في ذلك بأن عرقوبا كان من العمالقة الذين لم ينزلوا المدينة -ويقولون أزمعت على المسير-ووجه الكلام أزمعت المسير كما قال عنترة

إن كنت أزمعت المسير فإنما زمت ركابكم بليل مظـلـم

وفي معنى أزمعت لفظة أجمعت إلا أنه يجوز في أجمعت خاصة تعديتها بنفسها وبلفظة على فيقال أجمعت الأمر وأجمعت عليه وفي القرآن فأجمعوا أمركم وشركاءكم وسئل عن وجه انتصاب لفظة وشركاءكم إذ العطف ممتنع هنا لأنه لا يقال أجمعت شركائي وأجيب عنه بجوابين "أحدهما" أنه انتصب انتصاب المفعول معه فتكون الواو مع لا أنها واو العطف ويكون تقدير الكلام اجتمعوا مع شركائكم على تدبير أمركم "والجواب الثاني" أنه انتصب على إضمار فعل حذف لدلالة الحال عليه وتقديره لو ظهروا دعوا شركاءكم فتكون الواو على هذا القول قد عطفت فعلا مضمرا على فعل مظهر كما قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمـحـا

والرمح لا يتقيد به وإنما تقديره وحاملا رمحا ويضاهي لفظة أجمعت في تعديتها بنفسها تارة وبحرف الجرف أخرى لفظة عزمت فيقال عزمت على الأمر وعزمته كما قال تعالى "ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الأجل محله" -ويقولون أحضرت السفينة وقد آن إحضارها- ووجه الكلام أن يقال حدرتها وقد آن حدرها وهي في غد محدورة وكذلك يقولون أعلفت الدابة والصواب علفت قال الشاعر

إذا كنت في قوم عدا لست منهم فكلما علفت من خبيث وطيب

-ويقولون في جمع فم أفمام- وهو من أفضح الأوهام والصواب أن يقال أفواه كما قال سبحانه "يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم" وذاك أن الأصل في فم فوه على وزن سوط فحذفت الهاء تخفيفاً لشبهها بحروف اللين فبقي الاسم على حرفين الثاني منهما حرف لين فلم يروا إيقاع الاعراب عليه لئلا تثقل اللفظة ولم يروا حذفه لئلا يجحفوا به فأبدلوا من الواو ميما فقالوا فم لأن مخرجها من الشفة والدليل على أن الأصل في فم الواو قولهم تفوهت بكذا ورجل أفوه ولم يقولوا تفممت ورجل أفمم وأكثر ما يستعمل بالميم عند الأفراد فأما قول العجاج "خالط من سلمى خياشيم وفا" فقيل أنه أراد وفاها فحذف المضاف إليه وقيل عني وفما وقولهم في تصغيره فويه لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها كما يقال في تصغير حر حريح لأن أصله حرح ويقال في تصغير الست من العدد سديسة لأن أصلها سدس لاشتقاقها من التسديس كما أن اشتقاق خمسة من التخميس وألحقت الهاء بها عند التصغير لأنها من المؤنث الثلاثي ثم إن العرب قصرت استعمال فم عند إفراده واختارت رده إلى أصله عند إضافته فقالوا عند الإضافة نطق فوه وقبل فاء وأدخل إصبعه في فيه كما قال علي كرم الله وجهه

هذا جناي وخياره فـيه إذ كل جان يده إلى فيه

إلا أنه قد سمع عنهم الإضافة الميم كقول الزاجر ويصبح عطشان وفي البحر فمه- وأما قول الفرزدق

هما نفثا في فيّ من فويهمـا على النابح العاوي أشد رجام

فإنه جمع للضرورة بين العوض والمعوض كما فعل الراجز في قوله

إني إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا اللهم

فجمع بين ياء النداء والميم المشددة التي عند الخليل بدل من ياء المناداة -ويقولون في تصغير عقرب عقيربة- فيوهمون فيه وهم من لم يستقر كلام العرب ولا عشا إلى جذوة الأدب لأن العرب تصغرها على عقيرب كما تصغر زينب على زيينب وذاك أن الهاء إنما ألحقت في تصغير الثلاثي نحو قدر وقديرة وشمس وشميسة فأما الرباعي فإنه لما ثقل بكثرة حروفه نزل الحرف الأخير منزلة هاء التأنيث والدليل على منع سعاد من الصرف كما منع ما فيه الهاء فلما حل الحرف الأخير من الرباعي محل الهاء من الثلاثي لم يجز أن تدخل عليه الهاء كما لا يدخل على هاء التأنيث هاء أخرى ومن أوهامهم في التصغير قولهم في تصغير ذي الموضوعة للإشارة إلى المؤنث ذيا فيخطئون فيه لأن العرب جعلت تصغير ذيا لذا الموضوعة للإشارة إلى المذكر ولم تصغر ذي الموضوعة للإشارة إلى المؤنث على لفظها لئلا يلتبس بتصغير ذا بل عدلت في تصغير الاسم الموضوع للإشارة إلى المؤنث عن ذي إلى تا فصغرته على تيا قال الأعشى

أتشفيك تيا أم تركت بدائكا وكانت قتولا للرجال كذلكا

ويقولون رجل دنيائي- بهمزة قبل ياء النسب فيلحنون فيه لأن المسموع عن العرب في النسب إلى دنيا دنيي ودنيوي وفيهم من شبه ألفها بألف بيضاء لكونهما علامتي التأنيث فقال دنياوي كما قيل في بيضاء بيضاوي فأما إلحاق الهمزة بها فلا وجه له لأنه اسم مقصور غير مصروف والهمزة إنما تلحق بالمنسوب إلى الممدود المنصرف كما يقال في النسب إلى سماء وحرباء سمائي وحربائي على أنه قد جوز فيهما سماويّ وحرباويّ ومن أوهامهم في لفظة دنيا أيضا تنوينهم إياها فيقولون هذه دنيا متعبة وهو من مشاين الوهم ومقابح اللحن لأن دنيا وما هو على وزنها مما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة لا يدخله التنوين بوجه وإنما لم ينصرف ما أنث بألف معرفة ولا نكرة وانصرف ما أنث بالهاء في النكرة وكلتاهما علامة للتأنيث لأن التأنيث بالألف أقوى من التأنيث بالهاء بدليل أن الكلمة المؤنثة بالألف نحو حبلى وسكرى وحمراء وخضراء صيغت في بدئها وأول وضعها على التأنيث فقوى تخصصها بالأنوثة ونابت هذه العلة مناب علتين فمنعت من الصرف بالواحدة والتأنيث بالهاء ملتحق بالكلمة بعد استعمالها في المذكر نحو قولك عائش وعائشة وخديج وخديجة فلهذا حط من درجة ما أنث بالألف وصرف في النكرة -ويقولون ما آليت جهداً في حاجتك- فيخطئون فيه لأن معنى ما آليت ما حلفت وتصحيح الكلام فيه أن يقال ما ألوت أي ما قصرت لأن العرب تقول ألا الرجل يألو إذا قصر وفتر وحكى الأصمعي قال إذا قيل لك ما ألوت في حاجتك فقل بلى أشد الألو وقد أجاز بعضهم أن يقال ما أليت في حاجتك بتشديد اللام واستشهد عليه بقول زهير بن جناب

وإن كنائني لمكرمـات وما ألى بنيّ ولا اساؤا

ولفظة ألوت لا تستعمل في الواجب البتة مثل لفظة أحد وقط وصافر وديار ومثل لا جرم ولابد ونظائره وكذلك لفظة الرجاء الذي بمعنى الخوف كما جاء في القرآن الكريم "ما لكم لا ترجون الله وقارا " أي لا تخافون وكما قال أبو ذؤيب

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل

يعني لم يخف لسعها وأراد بالنوب التي قد شابهت بسوادها النوبة وقيل بل أراد به جمع نائب ومما لا يستعمل أيضا إلا في الجحد قولهم ما زال وما برح وما فتئ وما انفك وما دام بمعنى ما برح في أكثر الأحوال وعليه قول الأعشى

أيا أبتا لا ترم عندنا فانا بخير إذا لم ترم

وبهذا البيت استعطف أبو عثمان المازني الواثق بالله حين أشخصه من البصرة إلى حضرته حتى اهتز لاحسان صلته وعجل تسريحه إلى ابنته وخبره يشهد بفضيلة الأدب ومزيته ويرغب الراغب عنه في اقتباسه ودراسته ومساق الخبر ما رواه أبو العباس المبرد قال قصد بعض أهل الذمة أبا عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار على تدريسه إياه فامتنع أبو عثمان من قبول بذله وأصر على رده قال فقلت له جعلت فداءك أترد هذه النفقة مع فاقتك وشدة اضاقتك فقال إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا آية من كتاب الله عز وجل ولست أرى إن أمكن منها ذمياً غيره على كتاب الله تعالى وحمية له قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجي

أظلوم إن مصابكم رجلا أهدى السلام إليكم ظلم

فاختلف من بالحضرة في إعراب رجل فمنهم من نصبه وجعله اسم إن ومنهم من رفعه على أنه خبرها والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياها بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بني مازن قال أيّ الموازن مازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمني بكلام قومي قال لي با اسمك لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما إذا كانت في أول الأسماء قال فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجب به ثم قال ما تقول في قول الشاعر "أظلوم إن مصابكم رجلا" أترفع رجلا أم تنصبه فقلت بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك فقلت إن مصابكم مصدر بمعنى أصابتكم فأخذ اليزيدي في معارضتي فقلت هو بمنزلة قولك إن ضربك زيد ظلم فرجلاً مفعول مصابكم ومنصوب به والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول ظلم فيتم الكلام فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد فقلت نعم بنية يا أمير المؤمنين قال ما قالت لك عند مسيرك قلت أنشدت قول الأعشى

أيا أبتا لا تـرم عـنـدنـا فإنا بخـير إذا لـم تـرم
أرانا إذا أضمرتك البـلا د تخفى وتقطع منا الرحم

قال فقلت لها قول جرير

ثقي بالله ليس له شـريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال عليّ النجاح إن شاء الله ثم أمر لي بألف دينار وردني مكرما قال أبو العباس فلما عاد إلى البصرة قال لي كيف رأيت يا أبا العباس رددنا لله مائة فعوضنا ألفا -ويقولون الضبعة العرجاء- وهو غلط ووجه الكلام أن يقال الضبع العرجاء لأن الضبع يختص بأنثى الضباع والذكر ضبعان ومن أصول العربية أن كل اسم يختص بجنس المؤنث مثل حجر واتان وضبع وعناق لا تدخل عليه هاء التأنيث بحال وعلى هذا جميع ما يستقرى من كلام العرب وحكى ثعلب قال أنشدني ابن الأعرابي في أماليه

تفرقت غنمي يوماً فقلـت لـهـا يا رب سلط عليها الذئب والضبعا

فسألته حين أنشدنيه أدعا لها أم عليها فقال إن أراد أن يسلطا في وقت واحد فقد دعا لها لأن الذئب يمنع الضبع والضبع تدفع الذئب فتنجو هي وإن أراد أن يسلط عليها الذئب في وقت والضبع في وقت فقد دعا عليها وفي مسائل الضبع مسألة لطيفة قل من اطلع على خبئها وانكشف له قناع سرها وهي من أصول العربية التي يطرد حكمها ولا ينحل نظمها أنه متى

اجتمع المذكر والمؤنث غلب حكم المذكر على المؤنث لأنه الأصل والمؤنث فرع عليه إلا في موضعين أحدهما أنك متى أردت تثنية الذكر والأنثى من الضباع قلت ضبعان فأجريت التثنية على لفظ المؤنث الذي هو ضبع لا على لفظ المذكر الذي هو ضبعان وإنما فعل ذلك فراراً مما كان يجتمع من الزوائد أن لو ثنى على لفظ المذكر والموضع الثاني أنهم في باب التاريخ أرخوا بالليالي التي هي مؤنثة دون الأيام التي هي مذكرة وإنما فعلوا ذلك مراعاة للأسبق والأِسبق من الشهر ليلته ومن كلامهم سرنا عشراً من بين يوم وليلة
ويقولون لأول يوم من الشهر مستهل الشهر-فيغلطون فيه على ما ذكره أبو علي الفارسي في تذكرته واحتج فيه على ذلك بأن الهلال إنما يرى بالليل فلا يصلح أن يقال مستهل إلا في تلك الليلة ولا أن يؤرخ بمستهل الشهر إلا ما يكتب فيه ومنع أن يؤرخ ما يكتب فيها بليلة خلت لأن الليلة ما انقضت بعد كما منع أن يؤرخ ما يكتب في صبيحتها بمستهل الشهر لأن الاستهلال قد انقضى ونص على أن يؤرخ بأول الشهر أو بغرته أو بليلة خلت منه ومن أوهامهم في التاريخ أنهم يؤرخون بعشرين ليلة خلت وبخمس وعشرين خلون والاختيار أن يقال من أول الشهر إلى منتصفه خلت وخلون وفي النصف الثاني بقيت وبقين على أن العرب تختار أن تجعل النون للقليل والتاء للكثير فيقولون لأربع خلون ولإحدى عشر خلت نعم ولهم اختيار آخر أيضا وهو أن يجعل ضمير الجمع الكثير الهاء والألف وضمير الجمع القليل الهاء والنون المشددة كما نطق القرآن في قوله تعالى "إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربع حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم" فجعل ضمير الأشهر الحرم الهاء والنون لقلتهن وضمير شهور السنة الهاء والألف لكثرتها وكذلك اختاروا أيضاً أن ألحقوا بصفة الجمع الكثير الهاء فقالوا أعطيته دراهم كثيرة وأقمت أياماً معدودة وألحقوا بصفة الجمع القليل الألف والتاء فقالوا أقمت أياما معدودات وكسوته أثواباً رفيعات وأعطيته دراهم يسيرات وعلى هذا جاء في التنزيل في سورة البقرة "وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة " وفي سورة آل عمران إلا أياما معدودات كأنهم قالوا أولا بطول المدة التي تمسهم فيها النار ثم تراجعوا فقصروا تلك المدة -ويقولون خرمش الكتاب-بالميم أي أفسده والصواب أن يقال خربش بالباء وجاء في بعض الحديث وكان كتاب فلان -ويقولون ما رأيته من أمس ومنذ أمس-لأن من تختص بالمكان ومذ ومنذ يختصان بالزمان وأما قوله عز وجل إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فعناها هنا بمعنى في الدالة على الظرفية بدليل أن النداء للصلاة المشار إليها يوقع وسط يوم الجمعة ولو كانت من ههنا هي التي تختص بابتداء الغاية لكان مقتضى الكلام أن يوقع النداء في أول يوم الجمعة وأما قوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم فهوعلى إضمار مصدر حذف لدلالة الكلام عليه وتقديره من تأسيس أول يوم وعلى هذا قول زهير

لمن الديار بقنة الحـجـر أقوين من حجج ومن دهر

أي من مر حجج ومن مر دهر وقيل أن من في هذا البيت زائدة على ما يراه الأخفش من زيادتها في الكلام الواجب فكأنه قال أقوين حجاً ودهراً وأما قولهم ما رأيته مذ خلق ومذ كان ففي الكلام حذف تقديره مذ يوم خلق ومذ يوم كان -ويقولون تتابعت النوائب على فلان -ووجه الكلام أن يقال تتايعت بالياء المعجمة باثنتين من تحت لأن التتابع يكون في الصلاح والخير والتتايع يختص بالمنكر والشر كما جاء في الخبر "ما يحملكم أن تتايعوا في الكذب كما تتايع الفراش في النار وكما روى أنه لما كثر شرب الخمر في عهد عمر رضي الله عنه جمع الصحابة رحمة الله عليهم وقال إني أرى الناس قد تتايعوا في شرب الخمر واستهانوا بحدها فماذا ترون فقال علي رضي الله عنه أن أحده ثمانين لأني أراه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى فأحده حد المفتري فاستصوب عمر رأيه واخذ به وقد جاءت في لغة العرب ألفاظ خصت في الاستعمال في الشر دون الخير كلفظة تهافت التي لا تستعمل إلا في المكروه والحزن وكلفظة أشفى التي لا تقال إلا لمن أشرف على الهلكة وكالأرق الذي لا يكون إلا في المكروه لأن السهر يكون في المكروه والمحبوب وكقولهم في مدح الميت التأبين ولكل ما يثور للضرر هاج ولأخبار السوء صاروا أحاديث

وللمذموم ممن يخلف خلف وللمتساويين في الشر سواس وسواسية كما جاء في المثل سواسية كأسنان الحمار وكمل قال الشاعر

سود سواسية كأن أنوفـهـم — بعر ينظمه الصبي بملعب
لا يخطبون إلى الكرام بناتهم — وتشيب أيمهم ولما تخطب

وقد اختلف في سواسية فقيل هو جمع سواء وقيل بل وضعت موضع سواء ومما ينتظم في هذا السلك استعمالهم لفظة أزننته بمعنى اتهمته في المقابح دون المحاسن واستعمالهم الهنات والهنات في الكنايات عن المنكرات كقول الشاعر

فنعم الحيّ كلب غير أنـا — وجدنا في جوارهم هنات

"وكقول الآخر "

يزيد هنات من هنين فتلتوي — علينا وتأتي من هنين هنات

وقال الشيخ الإمام وأنشدني والدي رحمه الله قال أنشدني أبو الحسين بن زنجي اللغوي قال أنشدني أبو عبد الله النمري لنفسه يرثي أبا عبد الله الأزدي وكانت بينهما ملاحاة في عهد الحياة

مضى الأزديّ والنمريّ يمضي — وبعض الكل مقرون ببـعـض
أخي والمجتنى ثـمـرات ودي — وإن لم يجزني قرضي وبرضي
وكانت بـيـنـنـا ايدا هـنـات — توفر عرضه فيها وعرضـي
وما هانت رجال الأزد عـنـدي — وإن لم تدن أرضهم من أرضي

وحكي أن أبا الحسن بن وهب كتب إلى أخ له يداعبه

ظبـيك هـــذا حـــســـن وجـــهـــه — ومـا سـوى ذاك جـــمـــيعـــا يعـــاب
فافهم كلامي يا أبا عامر ما يشبه العنوان ما في الكتاب

"فأجابه"

وراء ما راقك من حسـنـه — منافع مخبرها مستـطـاب
من طيب مسموع إذا ما شـدا — يحلو به العيشويصفو الشراب
وعشرة محـمـودة حـفـهـا — مساعدات وهنـات عـذاب

قال الشيخ السعيد رحمه الله وليس وصفه الهنات بالعذوبة يخرجها عن وصفها بالذم كما أوهم بعضهم بل ما تسمى الخمر اللذة مع كونها أحد الكبائر وأم الخبائث ومما لا يستعمل في الشر قولهم ندد به وسمع به وقولهم قيض له كذا وكذا ومثله وباؤا بغضب من الله أي رجعوا وذكر أهل التفسير أنه لم يأت في القرآن لفظ الأمطار ولا لفظ الريح إلا في الشر كما لم يأت لفظ الرياح إلا في الخير قال سبحانه في الأمطار "وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل" وقال عز اسمه في الريح "وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم" وقال في الرياح "ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات" وهذا هو معنى دعائه عليه السلام عند عصوف الريح "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا" وأخبرني أبو القاسم إبراهيم بن محمد ابن أحمد بن المعدل قراءة عليه قال حدثنا القاضي الشريف أبو عمر القاسم ابن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد الأثرم قال أحمد بن يحيى وهو السوسي قال حدثنا علي بن عاصم قال أخبرني أبو علي الرجي قال حدثنا عكرمة عن ابن عباس رحمه الله قال هاجت ريح أشفق منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبلها وجثا على ركبتيه ومد يديه إلى السماء ثم قال "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا" وذكر ابن عمر رضي الله عنه أن الرياح المذكورة في القرآن ثمان أربع رحمة وأربع عذاب فأما التي للرحمة فالمبشرات والمرسلات والذاريات والناشرات وأما التي للعذاب فالصرصر والعقيم وهما في البر والعاصف والقاصف وهما في البحر -ويقولون في ضمن أقسامهم وحق الملح -إشارة إلى ما يؤتدم به فيحرفون المكنى عنه لأن الإشارة إلى الملح غي ما تقسم به العرب هو الرضاع لا غير والدليل عليه قول وفد هوزان للنبي صلى الله عليه وسلم لو كنا ملحنا للحارث أو للنعمان لحفظ ذلك فينا أي لو أرضعنا له وعليه قول أبي الطمحان في قوم أضافهم فلما أجنهم الليل استاقوا نعمه

وإني لأرجو ملحها في بطونكـم — وما بسطت من جلد أشعث أغبر

والقطعة مجرورة وأولها

ألا حنت الأرقال واستاق ربها تذكر أزماما واذكر معشري

يريد أني لأرجو أن تؤاخذوا بغدركم في مقابلة ما شربتم من لبنها الذي أسمنكم وحسن بدنكم وأما قولهم ملحه على ركبته فقيل المراد به أنه ممن يضيع حق الرضاع كما يضيع الملح ممن يضعه على ركبتيه وقيل المعنى به السيئ الخلق الذي تطيشه أقل كلمة كما أن الملح الموضوع فوق الركبة يتبدد بأدنى حركة وأما قول مسكين الدرامي

لا تلمها إنها من مـعـشـر ملحها موضوعة فوق الركب

فقيل عنى به أنها من قوم هم في الغدر وسوء العهد كمن ملحه فوق ركبته وقيل أشار به إلى أنها سوداء زنجية لقولهم ملح الزنجي على ركبته والملح مؤنثة في أكثر الكلام فلهذا قال ملحها موضوعة وقد نطق في بعض اللغات بتذكيرها -ويقولون هو ذا يفعل وهو ذا يصنع- وهو خطأ فاحش ولحن شنيع والصواب أن يقال ها هو ذا يفعل وكأن أصل القول هو هذا يفعل فنزع حرف التنبيه الذي هو ها من اسم الإشارة الذي هو ذا وصدر في الكلام وأقحم بينهما الضمير ويسمى هذا التقريب إلا أنه إذا قيل ها هوذا كتب حرف التنبيه بإثبات الألف لئلا يبقى على حرف واحد والعرب تكثر الإشارة والتنبيه فيما تقصد به التفخيم وفيما رواه النحويون أن غلاما مر بصفية بنت عبد المطلب فقال لها أين الزبير قالت وما تريد منه قال أريد أن أباطشه فقالت له ها هو ذاك فصار إليه فباطشه فغلبه الزبير فرجع الغلام مفلولا فلما مر بصفية قالت "له كيف رأيت زبيراً أقطا أو تمرا أم قرشيا صقرا" أرادت أوجدته طعاما تأكله أم صقرا يأكلك -ويقولون رجل متعوس- ووجه الكلام أن يقال تاعس وقد تعس كما يقال عاثر وقد عثر والتعس الدعاء على العاثر بأن لا ينتعش من صرعته وعليه فسر قوله تعالى "فتعسا لهم" والعرب تقول في الدعاء على العاثر تعسا له وفي الدعاء له لعا كما قال الاعشى

بذات لوث عفرناة إذا عـثـرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

يعني أنها تستحق أن يدعى عليها لا لها واختار الفراء أن يقال للغائب تعس بكسر العين وللمخاطب تعست بفتح العين فأما في التعدية فيقال أتعسه الله وعليه قول هلال بن مجمع

تقول وقد أفردتها عن خليلها تعست كما أتعستني يا مجمع

وعلى ذكر التعس فإني رويت في أخبار أبي أحمد العسكري عن أبي علي الأعرابي قال حدثني بعض الأدباء قال وقف علينا إعرابي في طريق الحج وقد عن لنا سرب ظباء فقال بكم تشترون واحدة منهن فقلنا بأربعة دراهم قال فتركنا وسعى نحوهن فاكذب أن جاء وعلى عاتقه ظبية وهو يقول

تقيس شدي وأقيس شدهـا كيف ترى عدو غلام ردها

"فقلت"

أراه قد أتعبـهـا وكـدهـا وأتعس الله لـديه جـدهـا
أنت أشد الناس عدوا بعدها

قال فتركها وانصرف فقلت له خذ حقك فقال سبحان الله أتمدحني وآخذ منك -ويقولون ما شعرت بالخبر بضم العين- فيحيلون المعنى فيه لأن معنى ما شعرت بضم العين ما صرت شاعرا فأما الفعل الذي بمعنى علمت فهو شعرت بفتح العين ومنه قولهم ليت شعري أي ليت علمي وعند الفراء أن لفظة شعري مصدر مثل علمي وفي الكلام محذوف ترك إظهاره لكثرة استعمال هذه اللفظة وتقدير الكلام ليت علمي بلغه خبر فلان وقال ثعلب بل المصدر من شعرت هو شعرة مثل فطنة فحذفت الهاء منه للإضافة كما حذفت في قولهم للزوج الأول وهو أبو عذرها والأصل أبو عذرتهاومثله قوله تعالى "لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة" لأن الأصل إقامة فحذفت منه الهاء للإضافة -ويقولون في المنسوب إلى الفاكهة والباقلاء والسمسم فاكهاني وباقلاني وسمسماني- فيخطئون فيه لأن العرب لم تلحق الألف والنون في النسب إلا بأسماء محصورة زيدتا فيها للمبالغة كقولهم للعظيم الرقبة رقباني وللكثيف اللحية لحياني وللوافر الجمة جماني وللمنسوب إلى الروح روحاني وإلى من يرب

العلم رباني وإلى بائع الصيدل والصيدن وهما في الأصل حجارة الفضة ثم جعلا اسمين للعقاقير صيدلاني وصيدناني ووجه الكلام في الأول أن يقال للمنسوب إلى السمسم سمسمي كما يقال في المنسوب إلى ترمذ ترمذي وأن يقال في المنسوب إلى الفاكهة فاكهي كما ينسب إلى السامرة سامري فأما المنسوب إلى الباقلا فمن قصره قال في النسب إليه باقلي لأن المقصور إذا تجاوز الرباعي حذفت ألفه في النسب كما يقال في النسب إلى حبارى حباريّ وإلى قبعثرى قبعثريّ ومن مد الباقلاء جاز في النسب إليه باقلاوي وباقلائي كما ينسب إلى حرباء وعلباء حرباوي وحربائي وعلباوي وعلبائي وأما قولهم في النسب إلى صنعاء وبهراء ودستواء صنعاني وبهراني ودستواني فهو من شواذ النسب والشاذ لا يعاج إليه ولا تحمل نظائره عليه

-ويقولون للذهب خلاص بفتح الخاء- والاختيار فيه أن يقال خلاص بالكسر واشتقاقه من أخلصته النار بالسبك وكنت سمعت في روق الشبيبة ولدونة الحداثة القشيبة أدبها من أهل بست يعجب بقول أبي الفتح البستي إذا اقترن الولاء بالإخلاص صار كالذهب الخلاص فارتجلت على البديهة وقلت من طلب جانب الخلاص جانب طلب الخلاص فثناه عن استنانه وأغرق في استحسانه ????-ويقولون سارر فلان فلانا وقاصصه وحاججه وشاققه- فيبرزون التضعيف كما يظهرونه في مصادر هذه الأفعال أيضاً يقولون المسارة والمقاصصة والمحاججة والمشاققة ويغلطون في جميع ذلك لأن العرب استعملت الإدغام في هذه الأفعال ونظائرها طلبا لاستخفاف اللفظ واستثقالا للنطق بالحرفين المتماثلين ورأت أن إبراز الإدغام بمنزلة اللفظ المكرر والحديث المعاد ثم لم تفرق بين ماضي هذه الأفعال ومستقبلها وتصاريف مصادرها فقالوا ساره يساره مسارة وحاجه يحاجه محاجة وقالوا في نوع آخر منه تصام عن الأمر أي أرى أنه أصم وتضام القوم أي انضموا وتراص المصلون أي تلاصقوا وعلى هذا حكم قبيل هذا الكلام كما جاء في القرآن وحاجه قومه وورد فيه "لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله" فاشتملت هذه الآية على الإدغام في الفعل الماضي والمستقبل وهذا الحكم مطرد في كل ما جاء من الأفعال المضاعفة على وزن فعل وأفعل وفاعل وافتعل وتفاعل واستفعل نحو مد الحبل وأمد ومد وتماد واستمد اللهم إلا أن يتصل به ضمير المرفوع أو يؤمر منه جماعة المؤنث فيلزم حينئذ فك الإدغام في هذين الموطنين لسكون آخر الحرفين المتماثلين كقولك رددت ورددنا ونظائره كقولك رد واردد وقاص وقاصص واقتص واقتصص وكذلك جوز الأمران في المجزوم كما قال تعالى في سورة المائدة "من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه" وفي سورة أخرى "ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر" كما قال سبحانه "ومن يشاق الله" وفي موطن آخر "ومن يشاقق الله" فأما فيما عدا هذه المواطن المذكورة فلا يجوز إبراز التضعيف إلا في ضرورة الشعر كما قال الراجز في الاسم

إن بـنـي لـلـئام زهــده مالي في صدورهم من مودده

فأظهر التضعيف في مودة لإقامة الوزن وتصحيح البيت ومثله قول قعنب بن أم صاحب هذه الأفعال

مهلا أعاذل قد جربت من خلقي إني أجود لأقوام وإن ضننـوا

أراد ضنوا ففك الإدغام للضرورة وقد شذ منه قولهم قطط شعره من القطط ومششت الدابة من المشش ولححت عينه أي التصقت والل السقاء إذا تغيرت ريحه وضبب البلد إذا كثر ضبابه وصككت الدابة من الصكك في القوائم وكل ذلك مما لا يعتد به ولا يقاس عليه -ومن أوهامهم في هذا الفن قولهم للاثنين اردا- وهو من مفاحش اللحن ووجه الكلام أن يقال لهما ردا كما يقال للجميع ردوا والعلة فيه أن الألف التي هي ضمير المثنى والواو التي ضمير الجمع تقتضيان لسكونهما تحريك آخر ما قبلهما ومتى تحرك آخر الفعل حركة صحيحة وجب الإدغام وهذه العلة مرتفعة في قولك للواحد اردد فلهذا امتنع القياس عليه ? -ويقولون نقل فلان رحله- إشارة إلى أثاثه وآلاته وهو وهم ينافي الصواب ويباين المقصود به في لغة العرب إذ ليس في أجناس الآلات ما يسمونه رحلا إلا سرج البعير الذي عناه الشاعر بقوله

مهما نسيت فما أنسى مقالتـهـا يوم الرحيل لا تراب لها عـرب
سكن قلبي بـابـديكـن أن لـه وهجا يفوق ضرام النار واللهب
ليت الفراق نعى روحي إلى بدني قبل التآلف بين الرحل والقتـب

وإنما رحل الرجل منزله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام "إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال " أي صلوا في منازلكم عند ابتلال أحذيتكم من المطر وقيل أن النعال هنا جمع نعل وهو ما صلب من الأرض ومن كلام العرب للمعشب الريع وللخصيب الرحل هو أخضر النعل ومما أنشده ابن السكيت في أبيات معانيه

نلقاهم وهم خضر النعـال كـأن قد نشرت كتفيها فيهم الضـبـع
لو صاب واديهم رسل فأتـرعـه ما كان للضيف في تغميره طمع

أراد أنهم لو أخصبت أرضهم حتى سال واديهم لبنا لما سقوا الضيف مذقة منه والتغمير أقل الشرب لاشتقاقه من الغمر وهو أصغر الأقداح

ويقولون لمن يكثر السؤال من الرجال سائل ومن النساء سائلة- والصواب أن يقال لهما سأال وسألة كما أنشد بعضهم في الخمر

سألة للفتـى مـا لـيس فـي يده ذهابة بعقول الـقـوم اولـمـال
أقسمت بالله أسقيها وأشـربـهـا حتى تفرق ترب الأرض أوصالي

يعني أقسمت بالله لا أسقيها فاضمر لا كما أضمرت في قوله تعالى "تا الله تفتأ تذكر يوسف" أي لا تفتأ وأكثر ما تضمر في الأقسام قالت الخنساء

فآليت آسى على هالك واسأل نائحة ما لهـا

أي لا آسى ولا أسأل وقد تضمر في غير القسم كقول الراجز لابنه

أوصيك أن يحمدك الأقارب ويرجع المسكين وهو خائب

أي ولا يرجع وكما أنهم أضمروا لا فقد استعملوها زائدة على وجه الفصاحة وتحسين الكلام كما قال سبحانه "ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك" والمراد به ما منعك أن تسجد بدليل قوله تعالى في السورة الأخرى "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" ومنه قول الراجز

وما ألوم البيض أن لا تسخرا إذا رأين الشمط المـنـورا

أي لا ألوم البيض أن تسخر إذا رأين الشيب والأصل في مباني الأفاعيل ملاحظة حفظ المعاني التي تتميز باختلاف وضع الأمثلة فبنى مثال من فعل الشيء مرة على فاعل نحو قاتل وفاتك وبنى مثال من كرر الفعل على فعال مثل قتال وفتاك وبنى مثال من بالغ في الفعل وكان قوياً عليه على فعول مثل صبور وشكور وبنى مثال من اعتاد الفعل على مفعال مثل امرأة مذكار إذا كان من عادتها أن تلد الذكور ومئاث إذا كان من عادتها أن تلد الإناث ومعقاب إذا كان من عادنها أن تلد نوبة ذكرا ونوبة أنثى وبنى مثال من كان آلة للفعل وعدة له على مفعل نحو محرب ومرجم وحكى ابن الأعرابي قال دفع رجل رجلا من العرب فقال المدفوع لتجدني ذا منكب مرجم وركن مدعم ورأس مصدم ولسان مرجم ووطء ميثم أي مكسر وسئل بعض أهل اللغة عن قوله تعالى " وما ربك بظلام للعبيد" لم ورد على وزن فعال الذي صيغ للتكثير وهو سبحانه منزه عن الظلم اليسير فأجاب عنه أن أقل القليل من الظلم لو ورد منه وقد جل سبحانه لكان كثيراً لاستغنائه عن فعله وتنزهه عن قبحه ولهذا يقال زلة العالم كبيرة وإلى هذا أشار المخزومي

ألعيب في الجاهل المغمور مغمور وعيب ذي الشرف المذكور مذكور
كفوفة الظفر تخفي من حقارتـهـا ومثلها في سواد العين مشـهـور

-ويقولون يوشك أن يكون كذا بفتح الشين- والصواب فيه كسرها لأن الماضي منه أن أوشك فكان مضارعه يوشك كما يقال أودع يودع وأورد يورد ومعنى يوشك يسرع لاشتقاقه من الوشيك وهو المسرع إلى الشيء وقد تستعمل هذه اللفظة باتصال أن بها وحذفها عنها فيقال يوشك يفعل كما قال الشاعر

يوشك من فر من منيتـه في بعض غراته يوافقها

ويقال يوشك أن يفعل كما قرأت على ذي الرتيبتين أبي الحسن محمد بن أحمد الجوهري الكاتب رحمه الله قال أنشدني القاضي أبو عبد الله الضبي لعمر بن حطان

أفي كل عام مرضة ثم نـهـضة وتنعى ولا تنعى متى ذا إلى متى
فيوشـك يوم أن يوافـق لـيلة يسوقان حتفا راح نحوك أو غدا

ويضاهي لفظة يوشك لفظتا عسى وكاد في جواز إيراد أن بعدهما وإلغائهما معهما إلا أن المنطوق به في القرآن والمنقول عن فصحاء أولي البيان إيقاع أن بعد عسى وإلغاؤها بعد كاد والعلة فيه أن كاد وضعت لمقاربة الفعل ولهذا قالوا كاد النعام يطير لوجود جزء من الطيران منه وإن وضعت لتدل على تراخي الفعل ووقوعه في الزمان المستقبل فإذا وقعت بعد كاد نافت معناها الدال على اقتراب الفعل وحصل هذا في الكلام ضرب من التناقض وليس كذلك عسى لأنها وضعت للتوقع الذي يدل وضع أن على مثله فوقوع أن بعدها يفيد تأكيد المعنى ويزيده فضل تحقيق وقوة وقد نطقت به العرب بعدة أمثال في كاد الغيث أن في جميعها فقالوا كاد العروس يكون ملكا وكاد المتنقل يكون راكبا وكاد الحريص يكون عبدا وكاد النعام يكون طيرا وكاد الفقر يكون كفرا وكاد البيان يكون سحرا وكاد البخيل يكون كلبا وكاد السيئ الخلق يكون سبعا وفيما يروى من خزعبلات العرب أن امرأة من الجن قصدت لمحاجاة العرب فكانت تقف على كل محجة وتحاجي من تلقاه فلا يثبت لمحاجاتها أحد إلى أن تعرض لها أحد فتيان العرب فقال لها حاجيتك فقالت قل فقال لها كاد قالت كاد العروس يكون ملكا فقال لها كاد قالت كاد المتنعل يكون راكبا فقال لها كاد قالت كاد النعام يكون طيرا ثم أمسك فقالت له حاجيتك قال لها قولي قالت عجبت قال عجبت للسبخة كيف لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها فقالت عجبت قال عجبت للحصى كيف لا يكبر صغارها ولا يهرم كبارها قالت عجبت قال عجبت لحفرة بين فخذيك كيف لا يدرك قعرها ولا يمل حفرها قال فخجلت من جوابه وتولت عنه ولم تعد إلى ما كانت عليه -ويقولون لهذا النوع من الخضراوات المأكولة ثلجم وبعضهم يقول شلجم بالشين المعجمة وكلاهما غلط على ما حكاه أبو عمر الزاهد عن ثعلب ونص على أن الصواب فيه أن يقال سلجم بالسين المغفلة واستشهد عليه بقول الراجز

تسألني برامتين سـلـجـمـا أنك لو سألت شـيئا أمـمـا
ما جاء به البكري أو تجشما

يعني أنك لو سألت شيئا موجودا بالبادية لأتيتك به ولكنك طلبت ما يعوز وجدانه فيها والأمم من حروف الأضداد فيستعمل تارة بمعنى عظيم وأخرى من يسير وبمعنى القصد بين الحقير والعظيم ومنه قول الشاعر

يا لهف نفسي على الشباب ولم أفقد به إذ فقـدتـه أمـمـا

-ويقولون جلست في فيء الشجرة- والصواب أن يقال في ظل الشجرة كما جاء في الأثر مما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن علي السيرافي الحافظ فيما قرأته عليه قال حدثنا القاضي أبو محمد علي بن أحمد بن بشر قال حدثنا محمد بن يوسف البيع قال حدثنا سعيد بن عامر الضبعي قال حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى عليه وسلم أن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام فما ينقطع اقرؤا إن شئتم وظل ممدود والعلة فيما ذكرناه أن الفئ سمي بذلك لأنه قاء عند زوال الشمس من جانب إلى جانب أي رجع ومعنى الظل الستر ومنه اشتقاق المظلة لأنها تستمر من الشمس وبه أيضا سمى سواد الليل ظلا أنه يستر كل شئ فكان اسم الظل يقع على ما يستر من الشمس وعلى ما لا تطلع عليه وذرى الشجر ينتظم هذين الوصفين فانتظم اسم الظل واشتمل نطاقه عليه فأما قوله عليه السلام والسلطان ظل الله في الأرض فالمراد به ستره السابغ على عباده المنسدل على بلاده ومن سنة العرب أن تصنيف كل عظيم إليه جلت عظمته كقولهم للكعبة بيت الله وللحاج وفد الله فأما قول الراجز "كأنما وجهك ظل من حجر" فقيل المراد به سواد الوجه وقيل بل كني به عن الوقاحة وقد فصل بعضهم أنواع الاستظلال فقال يقال استظل من الحر واستذرى من البرد واستكن من المطر -ويقولون ما فعلت الثلاثة الأثواب- فيعرفون الاسمين ويضيفون الأول منهما إلى الثاني والاختيار أن يعرف الأخير من كل عدد مضاف فيقال ما فعلت ثلاثة الأثواب وفيم انصرفت ثلاثمائة الدرهم وعليه قول ذي الرمة

وهل يرجع التسليم أو يكشف العنا ثلاث الأثافي والديار البـلاقـع

قال الشيخ الإمام رحمه الله وقد بين شيخنا أبو القاسم رحمه الله العلة في وجوب تعريف الثاني فقال لما لم يكن بد من آلة التعريف في هذا العدد رأوا أنهم لو عرفوهما جميعا فقالوا الثلاثة الأثواب لتعرف الاسم الأول بلام التعريف وبالإضافة الحقيقية ولا يجوز أن يتعرف الاسم من وجهين ولو أنهم عرفوا الاسم الأول وحده لتناقض الكلام لأن إدخال الألف واللام على الاسم الأول يعرفه وإضافته إلى النكرة تنكره فلم يبق إلا أن يعرف الثاني ليتعرف هو بلام التعريف ويتعرف الأول بالإضافة إليه فيحصل لكل منهما التعريف من طريق غير طريق صاحبه فإن اعترض معترض وقال كيف عرف الاسم الأول في العدد المركب كقولهم ما فعل الأحد عشر ثوبا فالجواب عنه أن الاسمين إذا ركبا تنزلا منزلة الاسم الواحد والاسم الواحد تلحق لام التعريف بأوله فكما يقال ما فعلت التسعة يقال ما فعلت التسعة عشر وقد ذهب بعض الكتاب إلى تعريف الاسمين المركبين والمعدود المميز فقالوا الأحد العشر الثوب وهو مما يلتفت إليه ولا يعرج عليه لأن المميز لا يكون معرفا بالألف واللام ولا نقل إلينا في شجون الكلام -ويقولون في الثياب المنسوبة إلى الملك ثياب ملكية بكسر اللام- والصواب ملكية بفتح اللام كما يقال في النسب إلى النمر نمريّ والعلة فيه أنهم لو أقروا الكسرة في ثاني هذه الكلمة لغلبت عليه الكسرات والياءات ولم يسلم من ذلك إلا الحرف الأول والتلفظ بما هذه صبغته يستثقل فلذلك عدل إلى إبدال الكسرة فتحة لتخف الكلمة ويسهل النطق بها وغنما لم يفعل ذلك في المنسوب إلى الرباعي نحو مالكي وعامري لأن الكسرات لم تغلب عليه مع فصل الألف بين أوله وثالثه -ويقولون انساغ لي الشراب فهو منساغ- والاختيار فيه ساغ فهو سائغ كما قال الشاعر

وساغ لي الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الحـمـيم

وفي القرآن لبنا خالصا سائغا للشاربين وجاء في تفسيره أنه لم يغص به أحد قط وحكي أنه سمع في بعض اللغات انساغ لي الشيء أي جاز فإنه مما لا يعتد به ولا يعذر من يستعمله في ألفاظه أو كتبه -ويقولون للند المتخذ من ثلاثة أنواع من الطيب مثلث- والصواب أن يقال فيه مثلوث كما قالت العرب حبل مثلوث إذا أبرم على ثلاث قوى وكساء مثلوث إذا نسج من صوف ووبر وشعر ومزادة مثلوثة إذا اتخذت من ثلاثة جلود وأصل هذا الكلام مأخوذ من قولك ثلث القوم فأنا ثالث وهم مثلوثون قال الشيخ الإمام رحمه الله قرأت في بعض النوادر أن إبراهيم بن المهدي وصف لنديم له طيب ند اتخذه واتاه بقطعة منه فألقاها في مجمرة ووضعها تحته فخرجت منه ريح في أثناء تجمره فقال ما أجد هذه المثلثة طيبة فقال له أي فديتك قد كانت طيبة حين كانت مثلثة فلما ربعتها خبثت قال الشيخ الإمام رحمه الله وإنما قلت مثلثة لأن النادرة تحكى على الأصل ولا يغير ما فيها من اللحن ولا من سخافة اللفظ ولهذا قال بعضهم إن ملحة النادرة في لحنها وحرارتها في حلاوة مقطعها ونظير وهمهم في هذه اللفظة قولهم صبي مجدر والصواب مجدور لأنه داء يصيب الإنسان مرة في عمره من غير أن يتكرر عليه فلزم أن يبني المثال منه على مفعول فيقال مجدور كما يقال مقتول ولا وجه لبنائه على مفعل الموضوع للتكرير كما يقال لمن يجرح جرحا على جرح مجرح ولما يضرب نوبة بعد نوبة مضرب والأفصح أن يقال جدري بضم الجيم واشتقاقه من الجدر وهو آثار الكدم في عنق الحمار -ويقولون قمئ الرجل ودفئ اليوم- والصواب أن يقال فيهما قمؤ و دفؤ لينتظما في سلك حيزهما من أفعال الطبائع التي على فعل بضم العين مثل بدن وسخن وضخم وعظم ومثله وضؤ وجهه إذا صار وضيئا ووطؤ مركبه إذا صار وطيئا ومرؤ الطعام إذا صار مريئا ومرؤ الانسان إذا صار ذا مروءة ودنؤ عرض فلان إذا صار دنيئا وردؤ الطعام إذا صار رديئا ومن أوهامهم في هذا الباب قولهم تبريت من فلان بمعنى برئت منه فيخطئون فيه لأن معنى تبريت تعرضت مثل انبريت ومنه قول الشاعر

وأهلة ود قد تـبـريت ودهـم وأبليتهم في الحمد جهدي ونائلي

يقال أهلة وأهل أي تعرضت لودهم فأما ما هو بمعنى البراءة فيقال فيه تبرأت كما جاء في التنزيل "تبرأنا إليك" ونظير هذا قولهم هديت من غضبي أي سكنت والصواب أن يقال هدأت لاشتقاقه من الهدوء فأما هديت فمشتقة من الهداية والهدى ومن أوهامهم أيضا في هذا النوع قولهم التباطئ والتوضئ والتبرئ والتهزئ والصواب أن يقال التباطؤ والتبرؤ والتهزؤ وعقد هذا الباب أن كل ماكان على وزن تفعل أو تفاعل مما آخره مهموز كان

مصدره على التفعل والتفاعل وهمز آخره ولهذا قيل التوضؤ والتبرؤ لأن تصريف الفعل منهما توضأ وتبرأ وقيل التباطؤ والتطاطؤ والتمالؤ والتكافؤ لأن أصل الفعل منها تباطأ وتطأطأ وتمالأ وتكافأ وهذا الأصل مطرد حكمه غير منحل من هذا السمط نظمه -ويقولون للأنثى من ولد الضأن رخلة وهي في اللغة الفصحى رخل بفتح الراء وكسر الخاء وقد قيل فيها رخل بكسر الراء وإسكان الخاء وعلى كلتا اللغتين لا يجوز إلحاق الهاء بها لأن الذكر لا يشركها في هذا الاسم وإنما يقال له حمل فجرت مجرى عجوز واتان وعنز وناب في منع إلحاق الهاء بها لاختصاصها بالمؤنث وقد جمع رخل على رخال بضم الراء وهو مما جمع على غير القياس كما قالوا في المرضع ظئر وظؤار وفي ولد البقرة الوحشية فرير وفرار وللشاة الحديثة العهد بالنتاج ربى ورباب وللعظم الذي عليه بقية من اللحم عرق وعراق وللمولود مع قرينه تؤم وتؤام وعليه قول الراجز

قالت لها ودمعـها تـؤام كالدؤم إذ أسلمه النـظـام
على الذين ارتحلوا السلام

فأراد بقوله ودمعها تؤام أي ينزل قطرتين قطرتين قال الشيخ الإمام رحمه الله تعالى وقرأت على أبي عمر الحسن بن علي بن غسان قال قرأت على أبي الحسين محمد بن الحسين الزنجي اللغوي قال قرأت على أبي عبد الله النمري في كتابه الذي سماه الاختراع أن أبا زيد حكى أن العرب تقول في ملحها قيل للضأن ماذا أعددت للشتاء قال أجز جفالا وانتج رخالا واحلب كثبا ثقالا ولن ترى مثلي مالا وفسر أن الجفال الكثير والرخال جمع رخل والكثب جمع كثبة وهو ما انصب ومار ومنه سمي الكثيب من الرمل -ويقولون سررت برؤيا فلان- إشارة إلى مرآه فيوهمون فيه كما وهم أبو الطيب في قوله لبدر بن عمار وقد سامره ذات ليلة إلى قطع من الليل

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ورؤياك أحلى في الجفون من الغمض

والصحيح أن يقال سررت برؤيتك لأن العرب تجعل الرؤية لما يرى في اليقظة والرؤيا لما يرى في المنام كما قال سبحانه إخباراً عن يوسف عليه السلام هذا تأويل رؤياي من قبل ويجانس هذا الوهم قولهم أبصرت هذا الأمر قبل حدوثه والصواب أن يقال بصرت بهذا الأمر لأن العرب تقول أبصرت بالعين وبصرت من البصيرة ومنه قوله تعالى " بصرت بما لم يبصروا به" وعليه فسر قوله تعالى "فبصرك اليوم حديد" أي عملك بما أنت فيه اليوم نافذ وإلى هذا المعنى يشار بقولهم هو بصير بالعلم

ويقولون قال فلان كيت وكيت- فيوهمون فيه لأن العرب تقول كان الأمر كيت وكيت وقال فلان ذيت وذيت فيجعلون كيت وكيت كناية عن الأفعال وذيت وذيت كناية عن المقال كما أنهم يكنون عن مقدار الشيء وعدته بلفظة كذا وكذا فيقولون قال فلان من الشعر كذا وكذا بيتا واشترى الأمير كذا وكذا عبدا والأصل في هذه اللفظة ذا فأدخل عليها كاف التشبيه إلا أنه قد انخلع من ذا معنى الإشارة ومن الكاف معنى التشبيه بدلالة أنك لست تشير إلى شئ ولا تشبه شيئا بشيء وإنما تكنى بها عن عدد ما فتنزلت الكاف في هذا الموطن منزلة الزائدة اللازمة وصارت كقولهم فعله آثرا ما يقال افعله آثرا ما وآثرا بغير ما وبقال ابدأ بهذا آثرا أي أول معناه آثرتك بهذا فخذه ولفظة ذا مجرورة بها إلا أن الكاف لما امتزجت بذا وصارت معه كالجزء الواحد ناسبت لفظتهما لفظة حبذا التي لا يجوز أن تلحقها علامة التأنيث فتقول عنده كذا وكذا جارية ولا يجوز أن تقول كذه كما لا يقال حبذه هند وعند الفقهاء أنه إذا قال من له معرفة بكلام العرب لفلان عليَّ كذا كذا درهما إلزم له أحد عشر درهما لأنه أقل الأعداد المركبة وإن قال له عليَّ كذا وكذا درهما ألزم له أحد وعشرين درهما لكونه أول مراتب العدد المعطوفة وذاك أن المقر بالشيء المبهم لا يلزم إلا الأقل مما يحتمله إقراره ويشتمل عليه اعترافه كما إذا قال له عليَّ دراهم لزمه ثلاثة لأنها أدنى الجمع -ويقولون في مضارع ذخر يذخر بضم الخاء- والصواب فتحها كما يقال فخر يفخر

وزخر البحر يزخر ومن أصول العربية أنه إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق التي هي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء كان الأغلب فتحها في المضارع نحو سأل يسأل ذهب يذهب وتعب يتعب وسحر يسحر وفغر فاه ويغغر وفخر يفخر فإن نطق في بعضها بالكسر أو بالضم فهو مما شذ عن أصله وندر عن رسمه -ويقولون في تصغير مختار مخيتير- والصواب مخير لأن الأصل في مختار مختير فالتاء فيه تاء مفتعل التي لا تكون إلا زائدة ويدل على زيادتها في هذا الاسم اشتقاقه من الخير ومن حكم التصغير حذف التاء فلهذا قيل مخير ومن عوض من المحذوف قال مخيير وقد غلط الأصمعي في تصغير هذا الاسم غلطا أودع بطون الأوراق وتناقلته الرواة في الآفاق وذاك أن أبا عمر الجرمي حين شخص إلى بغداد ثقل موضعه على الأصمعي اشفاقا من أن يصرف وجوه أهلها عنه ويصير السوق له فاعمل الفكر فيما يغض منه فلم ير إلا أن يرهقه فيما يسأله عنه فأتاه في حلقته وقال له كيف تنشد قول الشاعر

قد كن يخبأن الوجوه تسترا فاليوم حين بدان للنظـار

أو حين بدين فقال له بدأن قال أخطأت فقال بدين قال غلطت إنما هو حين بدون أي ظهرن فأسرها أبو عمر في نفسه وفطن لما قصده واستأنى به إلى أن تصدر الأصمعي في حلقته واحتف الجمع به فوقف به وقال له كيف تقول في تصفير مختار فقال مخيتير قال الفت لك من هذا القول أما تعلم أن اشتقاقه من الخير وأن التاء فيه زائدة ولم يزل يندد بغلطه ويشنع به إلى أن انفض الناس من حوله

ويقولون دستور بفتح الدال- وقياس كلام العرب فيه أن يقال بضم الدال كما يقال بهلول وعرقوب وخرطوم وجمهور ونظائرها مما جاء على فعلول إذ لم يجئ في كلامهم فعلول بفتح الفاء إلا صعفوق وهو اسم قبيلة باليمامة قال فيهم العجاج -من آل صعفوق واتباع آخر- ويشاكل هذا الوهم قولهم أطروش بفتح الهمزة والصواب ضمها كما يقال اسكوب واسلوب على أن الطرش لم يسمع من كلام العرب العرباء ولا تضمنته أشعار فحول الشعراء الأدباء ونقيض هذه الأوهام قولهم لما يلعق لعوق ولما يستف سفوف ولما يمص مصوص فيضمون أوائل هذه الأسماء وهي مفتوحة في كلام العرب كما يقال يزود وسعوط وغسول ومما يشاكل هذا قولهم تلميذ وطنجبير وبرطيل وجرجير بفتح أوائلها وهي على قياس كلام العرب بالكسر إذا لم تنطق في هذا المثال إلا بفعليل بكسر الفاء كما قالوا صنديد وقطمير وغطريف ومنديل وذكر ثعلب في بعض أماليه أن قول الكتاب لكيس الحساب تليه بفتح التاء مما وهموا فيه وأن الصواب كسرها كما يقال سكينة وعريسة وعلى مفاد هذه القضية يجب أن يقال في اسم المرأة بلقيس بكسر الباء كما قالوا في تعريب برجيس وهو اسم النجم المعروف بالمشتري برجيس بكسر الباء لأن كل ما يعرب يلحق بنظائره في أمثلة العرب وأوزان اللغة وعلى ذكر بلقيس فإني قرأت في أخبار سيف الدولة ابن حمدان أنه لما امتدحه الخالديان بعث إليهما وصيفا ووصيفة ومع كل منهما بدرة وتخت من ثياب مصر والشأم فكتبنا إليه في الجواب

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقا الا ومالك في النوال حبيس

خولتنا بدرا وشـمسا أشرقت بهما لدينا الظلمة الحنديس

رشأ أتانا وهو حسنا يوسف وغزالة هي بهجة بلقيس

هذا ولم تقنـع بذاك هذه حتى بعثت المال

أتت الوصيفة وهي تحمل بدرة وهو نفيس
وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وكسوتنا مما أجادت حوكه مصر وزادت
حسنه تنيس
فغدا لنا من جودك المأكول والمشروب والمنكوح والملبوس
فلما قرأها سيف الدولة قال لقد أحسنا إلا في لفظة المنكوح إذ ليست
مما يخاطب بها الملوك وهذا من بدائع نقده المليح وشواهد ذكائه
الصريح
-ويقولون كلا الرجلين خرجا وكلتا المرأتين حضرتا- والاختيار أن يوّحد الخبر فيهما فيقال كلا الرجلين خرج وكلتا المرأتين حضرت- والاختيار أن يوحد الخبر فيهما فيقال كلا الرجلين خرج وكلتا المرأتين حضرت لأن كلا وكلتا اسمان مفردان وضعا لتأكيد الاثنين والاثنتين وليسا في ذاتهما مثليين ولهذا وقع الإخبار عنهما كما يخبر عن المفرد ولهذا نطق القرآن في قوله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها ولم يقل آتتا وعليه قول الشاعر

كلانا ينـادي يانـزار وبـينـنـا قنا من قنا الحطيّ أو من قنا الهند

"ومثله قول الآخر"

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

فقال الأول كلانا ينادي ولم يقل يناديان وقال الآخر كلانا غنى ولم يقل غنيان فإن وجد في بعض الأخبار تثنية الخبر عن كلا وكلتا فهو مما حمل على المعنى أو لضرورة الشعر -ويقولون أنت تكرم عليّ بضم التاء وفتح الراء- والصواب تكرم بفتح التاء وضم الراء لأن فعله الماضي كرم ومن أصول العربية أن كل ما جاء من الأفعال الماضية على مثال فعل بضم العين كان مضارعه يفعل نحو حسن ويحسن وظرف ويظرف وإنما ضمت عين المستقبل من هذا النوع ولم يخالف به بناء الماضي للمحافظة على المعنى الموضوع له على هذا المثال وذلك أن ضمة العين جعلت دليلا على فعل الطبيعة فلو كسرت أو فتحت لذهب ذلك المعنى -ويقولون فيه شغب بفتح الغين- فيوهمون فيه كما وهم بعض المحدثين في قوله

يا ظالما يتجنى جئت بالـعـجـب شغبت كيما تغطي الذنب بالشغب
ظلمت سرا وتستعـدي عـلانـية أضرمت نارا وتستعفي من اللهب

والصواب شغب باسكان الغين كما قال الشاعر

رأيتك لما نلت مالا وعضـنـا زمان ترى في حد أنيابه شغبا
جعلت لنا ذنبا لتمـنـع نـائلا

ونظير هذا الوهم قولهم للداء المعترض في البطن المغص بفتح الغين فيغلطون فيه لأن المغص بفتح الغين هو خيار الإبل يدل عليه قول الراجز

أتت وهبت هجمة جرجورا ادما وحمرا مغصا خبورا

الجرجور العظام من الإبل والخبور الغزيرات الدر فأما اسم الداء فهو المغص بإسكان الغين وقد يقال بالسين وأما المعص بفتح العين المغفلة فهو وجع يصيب الانسان في عصبه من المشي وفي الحديث أن عمرو بن معدي كرب شكا إلى عمر رضي الله عنه المعص فقال كذب عليك العسل أي عليك بسرعة المشي إشارة إلى اشتقاقه من عسلان الذئب -ويقولون هو سداد من عوز- فيلحنون في فتح السين كما لحن هشيم المحدث فيها والصواب أن يقال بالكسر وجاء في أخبار النحويين أن النضر بن شميل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم ومساق خبره ما أخبرنا به أبو علي ابن أحمد التستري عن حميه القاضي أبي القاسم عبد العزيز بن محمد العسكري عن أبي أحمد بن الحسن بن سعيد العسكري اللغوي عن أبيه عن إبراهيم بن حامد عن محمد بن ناصح الأهوازي قال حدثني النضر بن شميل قال كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعليّ قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضغيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم أجرينا الحديث فأجرى هو ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز فأورده بفتح السين قال فقلت صدق يا أمير المؤمنين

هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز قال وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سداد قلت لأن سداد هنا لحن قال أوتلحنني قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بفتح السين القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجيّ يقول

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثـغـر

فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق ملياً ثم قال له ما مالك يا نضر قال أريضة لي بمرو اتصابها واتمززها أي أشرب صبابتها قال أفلا تفيدك ما لا معها قلت إني إلى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال كيف تقول إذا أمرت أن يترب الكتاب قلت أترب قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قال طنه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه تبلغ معه إلى الفضل بن سهل قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر أن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فيه فأخبرته ولم أكذبه فقال ألحنت أمير المؤمنين فقلت كلا وإنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لي الفضل من خاصته بثلاثين ألف درهم فأخذت الثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني قال الشيخ الإمام رحمه الله قلت وقد اذكرني هذا المثل أبياتا أنشدنيها أحد أشياخي رحمهم الله لأبي الهيذام

لي صديق هو عندي عـوز من سداد لا سداد من عـوز
وجهه يذكرني دار البـلـى كلما أقبل نحوي وضـمـن
وإذا جالسني جـرعـنـي غصص الموت بكرب وعلز
يصف الود إذا شـاهـدنـي فإذا غاب وشى بي وهمـز
كحمار السوء يبدي مـرحـا فإذا سيق إلى الحمل غمـز
ليتني أعطـيت مـنـه بـدلا بنصيبي شر أولاد المـعـز
قد رضينا بـيضة فـاسـدة عوضا منه إذا البيع نـجـز

ويقولون اقطعه من حيث رق- وكلام العرب اقطعه من حيث رك أي من حيث ضعف ومنه قيل للضعيف الرأي ركيك وفي الحديث أن الله تعالى ليبغض السلطان الركاكة أو الركّكة -ويقولون لمن تعب هو عيان- والصواب هو معي لأن الفعل منه أعيا فكان الفاعل منه على وزن مفعل كما يقال أرخى الستر فهو مرخ وأغلى الماء فهو مغل وعند أهل اللغة أن كل ما كان من حركة وسعي قيل فيه اعيا وما كان من قول ورأي قيل فيه عيي والاسم منهما عييّ على وزن سخيّ وقيل فيه عي على وزن شج وعم نظير هاتين اللفظتين في قولهم عيي وعيّ قولهم حيّ وحيي وقرئ بهما قوله تعالى "ويحيي من حيّ عن بينة " ومن حيي -ويقولون قاما الرجلان وقاموا الرجال- فيلحقون الفعل علامة التثنية والجمع وما سمع ذلك إلا في لغة ضعيفة لم ينطق بها القرآن ولا اخبار الرسول عليه السلام ولا نقل أيضا عن الفصحاء ووجه الكلام توحيد الفعل كما قال سبحانه في المثنى قال رجلان وفي الجمع إذا جاءك المنافقون فأما قوله تعالى "وأسرّوا النجوى الذين ظلموا " فالذين بدل من الضمير الذي في لفظة أسرّوا وقيل بل موضعه نصب على الذم أي أعني الذين كفروا وكذلك قوله تعالى "ثم عموا وصموا كثير منهم" فكثير بدل من الضمير الذي في لفظة عموا وصموا فإن تأخر الفعل الحق علامة التثنية والجمع فقيل الرجلان قاما والرجال قاموا ويكون الألف في قاما والواو في قاموا اسمين مضمرين والفرق بين الموضعين أنك إذا قدمت الفعل كانت علامة تثنية الفاعل وجمعه تغني عن الحاق علامة في الفعل وإذا أخرت الفعل صار الفاعل بتقدمه مبتدأ فلو أفرد الفعل وقيل الناس خرج لجاز أن يتوهم أنك تريد جزءا منهم لجواز أن يقال الناس خرج سيدهم -ويقولون أجد حما- والصواب أن يقال أجد حميا أو حموا لأن

العرب تقول لكل ما سخن حمى يحمي حميا فهو حام ومنه قوله تعالى" في عين حامية" ويقولون أيضا اشتد حمى الشمس وحموها إذا عظم وهجها ومنه ما أنشده المفضل

تجيش علينا قدرهم فنديمها ونفثؤها هنا إذا حميها غلا

يعني أنه متى جاشت قدرهم للشر سكنوها وهو معنى نديمها وأنه متى غلت فثؤها أي كسروا غليانها وكنى بالقدر عن تهيج الحرب كما يكنى بالمرجل عنه قال الشيخ الإمام أبو محمد القاسم بن علي الحريري رحمه الله وحكى أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمذاني حين قدم البصرة علينا حاجا سنة نيف وستين وأربعمائة أن الصاحب أبا القاسم بن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له ما الذي بك قال حما فقال له الصاحب قه فقال النديم وه فاستحسن الصاحب ذلك منه وخلع عليه قال الشيخ الإمام ولعمري لقد أحسن الصاحب في تعقيب لفظة حما بما صارت به إلى حماقة ولطف النديم في صلة تعقيبه بما جعله قهوه وكذا فلتكن مداعبة الفضلاء ومفاكهة الأدباء -ويقولون جاءني القوم إلاك وإلاه- فيوقعون الضمير المتصل بعد إلا كما يوقع بعد غير في مثل قولك جاء القوم غيرك فيوهمون كما وهم أبو الطيب في قوله

ليس إلاك يا علي هـمـام سيفه دون عرضه مسلول

والصواب أن لا يوقع بعد إلا إلا الضمير المنفصل كما قال الله تعالى "أمر ألا تعبدوا إلا إياه والفرق هنا بين الا وغير أن الاسم الواقع بعد غير لا يقع أبدا إلا مجرورا بالإضافة وضمير المجرور لا يكون إلا متصلا ولهذا امتنع أن يفصل بينهما وليس كذلك الاسم الواقع بعد إلا لأنه يقع إما منصوبا وإما مرفوعا وكلاهما يجوز أن يفصل بينه وبين العامل فيه ولهذا جعل له ضميران متصل ومنفصل إلا أنه لما اعترضت إلا في الكلام وفصلت بين العامل والمعمول أوقع بعدها الضمير المنفصل كما قال سبحانه وتعالى في ضمير المنصوب ضل من تدعون إلا إياه وكما قال عمرو بن معدي كرب في ضمير المرفوع

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنـا

فأما قول القائل

فما نبالي إذا ما كنت جارتنا ألا يجـاورنـا إلاك ديار

فلم يأت في أشعار المتقدمين سواه والنادر لا يعتد به ولا يقاس عليه -ويقولون هب أني فعلت وهب أنه فعل- والصواب إلحاق الضمير المتصل به فيقال هبني فعلت وهبه فعل كما قال أبو دهبل الجمعي

هبوني امرءا منكم أضل بعيره له ذمة إن الـذمـام كـبـير

ومثله قول عروة بن ادية وهي تصغير أداة

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبتـرد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الأحشاء تتقـد

وكان عروة هذا معه تغزله نقي الدخلة ظاهر العفة وروي أن سكينة بنت الحسن رضي الله عنه وقفت عليه ذات يوم فقالت له أنت القائل وأنشدت

قالت وأبثثتها وجدي فبـحـت بـه قد كنت عندي تحب الستر فاستتـر

ألست تبصر من حولي فقلت لـهـا غطى هواك وما القى على بصري

قال نعم فقالت وأنت القائل "إذا وجدت أوار الحب في كبدي" وأنشدته البيتين المقدم ذكرهما قال نعم فالتفتت إلى جوار كن حولها وقالت هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم ومعنى هبني أي عدني واحسبني فكان فيه معنى الأمر من وهب -ويقولون امرأة شكورة ولجوجة وصبورة وخؤونة- فيلحقون هاء التأنيث بها فيوهمون فيه لأن هذه التاء إنما تدخل على فعول إذا كان بمعنى مفعول كقولك ناقة ركوبة وشاة حلوبة لأنهما بمعنى مركوبة ومحلوبة فأما إذا كان فعول بمعنى فاعل نحو صبور الذي بمعنى صابر ونظائره فتمنع من التحاق التاء به وتكون صفة مؤنثة على لفظ مذكر قال الشاعر

ولن يمنع النفس اللجوج عن الهوى من الناس إلا واحد الفضل كامله

وقد ذكر النحويون في امتناع الهاء من هذه الصفات عللا أجودها أن الصفات الموضوعة للمبالغة نقلت عن بابها لتدل على معنى الذي تخصصت به فأسقطت هاء التأنيث في قولهم امرأة صبور وشكور وقتيل وفي قولهم فتاة معطار ونظائره كما ألحقت بصفة المذكر في قولهم رجل علامة ونسابة ليدل ما فعلوه على تحقيق المبالغة ويؤذن بحدوث معنى زائد في الصفة وامتناع الهاء من فعول بمعنى فاعل أصل مطرد لم يشذ منه إلا قولهم عدوة الله فإنهم ألحقوا بها الهاء فقالوا عدو وعدوة ليماثل قولهم صديق وصديقة لأن الشيء قي أصول العربية قد يحمل على ضده ونقيضه كما يحمل على نظيره ورسيله و في أخبار النحويين

أن أبا عثمان المازني سئل بحضرة المتوكل عن قوله تعالى "وما كانت أمك بغيا" فقيل له كيف حذفت الهاء من بغيّ وفعيل إذا كان بمعنى فاعل لحقته الهاء نحو فتيّ وفتية وغنيّ وغنية فقال إن لفظة بغي ليست بفعيل وإنما هي فعول التي بمعنى فاعلة لأن الأصل فيها بغوي ومن أصول التصريف أنه متى اجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء كما قالوا شويت اللحم شيا وكويت الدابة كيا والأصل فيهما شويا وكويا وكما قيل يوم وأيام والأصل فيه أيوام فعلى هذه القضية قيل بغي ووجب حذف الهاء منها لأنها بمعنى باغية كما تحذف من صبور التي بمعنى صابرة وهذا العقد الذي ذكرناه في قلب الواو ياء إذا اجتمعتا وكان السابق منهما ساكنا أصل مطرد ولم يشذ منه إلا حيوة اسم رجل وضيون وهو اسم للهرة وحكى الفراء أنهم قالوا عوى الكلب عوية وليس الشاذ مما يلتفت إليه ولا يعاج عليه -ويقولون لمن يأتي الذنب متعمدا قد اخطأ- فيحرفون اللفظ والمعنى لأنه لا يقال اخطأ إلا لمن لم يتعمد الفعل أو لمن اجتهد فلم يوافق الصواب وإياه عنى عليه الصلاة والسلام بقوله إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإنما أوجب له الأجر عن اجتهاده في إصابة الحق الذي هو نوع من أنواع العبادة لا عن الخطأ الذي يكفي صاحبه أن يعذر فيه ويرفع مأثمه عنه والفاعل من هذا النوع مخطئ والاسم منه الخطأ ومنه قوله تعالى "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ" وأما المتعمد الشيء فيقال فيه خطئ فهو خاطئ والاسم منه الخطيئة والمصدر الخطء بكسر الخاء وإسكان الطاء كما قال تعالى "إن قتلهم كان خطأ كبيرا" قال الشيخ السعيد رحمه الله ولى فيما انتظم هاتين اللفظتين واحتضن معنييهما المتنافيين

لا تخطون إلـى خـطء ولا خـطـأ من بعدما الشيب في فوديك قد وخطا
فأيّ عذر لمن شابـت مـفـارقـه إذا جرى في ميادين الهوى وخطـا

والخطيئة تقع على الصغيرة كما قال سبحانه إخبارا عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم "والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين" وتقع على الكبيرة كما قال تعالى "بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون"
-ويقولون لمن بدأ في إثارة شر أو فساد أمر قد نشب فيه- ووجه الكلام أن يقال نشم بالميم لاشتقاقه من قولك نشم اللحم إذا بدا التغير والأرواح فيه وعلى هذا جاء في حديث مقتل عثمان رضي الله عنه فلما نشم الناس بالأمر أي ابتدأوا في التوثب على عثمان والنيل منه وكان الأصمعي يرى أن لفظة نشم مما لا يستعمل إلا في الشر وان منها اشتقاق قولهم "دقوا بينهم عطر منشم" لا أن هناك عطرا يدق حقيقة وقال غيره بل منشم عطارة ما تطيب بعطرها أحد فبرز لقتال إلا قتل أو جرح وقيل بل الإشارة في المثل إلى عطارة أغار عليها قوم وأخذوا عطرا كان معها فأقبل قومها إليها فمن شموا منه رائحة العطر قتلوه ومن أوله على هذا قال هو عطر من شم فجعله مركبا من كلمتين وقيل الكناية فيه عن قرون السنبل الذي يقال انه سم ساعة وذكر ابن الكلبي أنها امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر فتطيب بعطرها قوم وتحالفوا على الموت فتفانوا وقال غيره بل هي صاحبة يسار الكواعب وكان يسار هذا عبد أسود يرعى الإبل إذا رأته النساء ضحكن منه فيتوهم أنهن يضحكن من حسنه فقال لرفيق له أنا يسار الكواعب ما رأتني حرة إلا عشقتني فقال له رفيقه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار وإياك وبنات الأحرار فأبى وراود مولاته عن نفسها فقالت له مكانك حتى آيتك بطيب أشممك إياه فأتته بموسى فلما أدنى أنفه إليها لتشممه الطيب جدعته وفي الشين من منشم روايتان الكسر والفتح وإن كان الكسر أكثر وأشهر ونظير وهمهم في هذه اللفظة قولهم ما عتب أن فعل كذا ووجه الكلام ما عتم أي أبطأ ومنه اشتقاق صلاة العتمة لتأخير الصلاة فيها ومدح بعض الأعراب رجلا فقال والله ما ماء وجهك بقاتم ولا زادك بعاتم -ويقولون في الأمر للغائب والتوقيع إليه يعتمد ذلك- بحذف لام من الفعل والصواب اثباتها فيه وجزمه بها لئلا تلتبس الكلمة بصيغة الخبر وتخرج عن حيز الأمر وعلى ذلك جاءت الأوامر في القرآن وفصيح الكلام والأشعار فأما قول الشاعر

محمد تفد نفسك كل نفـس إذا ما خفت من أمر زيالا

فهو عند البصريين من ضرورات الشعر الملجئة إلى تصحيح النظم وإقامة الوزن وأما قوله تعالى "قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة" فإنما جزم يقيموا لوقوعه موقع جواب الأمر المحذوف الذي تقديره لو ظهر "قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة" يقيموا وجواب الأمر مجزوم لتلمح معنى الجزاء فيه كما قال سبحانه "فادع لنا ربك يخرج لنا" وأصل هذه اللام الكسر كما كسرت لام الجر مع الظاهر فإن دخلت عليها الواو والفاء أو ثم جاز كسرها على الأصل وإسكانها للتخفيف إلا أن الاختيار أن تسكن مع الفاء والواو لكونهما على حرف واحد لا يمكن السكوت عليه وأن تكسر مع ثم لأنها كلمة بذاتها وبهذا أخذ أبو عمرو بن العلاء فقرأ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا بإسكان اللام مع الفاء والواو وقرأ ثم ليقطع بكسر اللام مع ثم -ويقولون لمركز الغرائب المأصر بفتح الصاد- والصواب كسرها لأن معناه الموضع الحابس للمار عليه العاطف للمجتاز به ومن ذلك اشتقاق أواصر القرابة والعهد لأنها تعطف على ما يجب رعايته من الرحم والمودة وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابي فتجاذب الحديث إلى أن حكى أبو نصر أن أبا الأسود الدؤلي دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثة فكساه ثيابا جددا من غير أن عرض له بسؤال أو ألجأه إلى استكساء فخرج وهو يقول

كساك ولم تستكسه فـحـمـدتـه أخ لك يعطيك الجزيل و ياصـر
وان أحق الناس إن كنت مـادحـا بمدحك من أعطاك والعرض وافر

فأنشد أبو نصر قافية البيت وياصر يريد به ويعطف فقال ابن الأعرابي بل هو وناصر بالنون فقال له أبو نصر دعني يا هذا ويا صري وعليك ناصرك -ويقولون هذا أمر يعرفه الصادر والوارد- ووجه الكلام أن يقال الوارد والصادر لأنه مأخوذ من الورد والصدر منه قيل للخادع يورد ولا يصدر ولما كان الورد يقدم الصدر وجب أن تقدم الوارد على الصادر ويماثل قولهم الوارد والصادر قولهم الفارب والهارب فالفارب الذي يطلب الماء والهارب الذي يصدر عنه -ويقولون أبنت بكسر الباء مع همزة الوصل- وهو من أقبح أوهامهم وأفحش لحن في كلامهم لأن همزة الوصل لا تدخل على متحرك وإنما اجتلبت للساكن ليتوصل بإدخالها عليه إلى افتتاح النطق به والصواب أن يقال فيها ابنة أو بنت لأن العرب نطقت فيها بهاتين اللغتين فمن قال ابنة صاغها على لفظة ابن ثم ألحق بها هاء التأنيث التي تسمى الهاء الفارقة وتصير في الوصل تاء ومن قال فيها بنت أنشأها نشأة مؤتنفة وصاغها صيغة مفردة وبناها على وزن جزع المتحرك أوله فاستغنى بحركة بائها عن اجتلاب الهمزة لها وإدخالها عليها وهذه التاء المتطرفة في بنت وفي أخت أيضا هي تاء أصلية تثبت في الوصل والوقف وليست للتأنيث على الحقيقة لأن تاء التأنيث يكون ما قبلها مفتوحا كالميم في فاطمة والراء في شجرة إلا أن تكون ألفا كالألف في قطاة وفتاة ولما كان ما قبل التاء في بنت وأخت ساكنا وليس بألف دل على أن التاء فيهما أصلية وأكثر اللغتين فيهما استعمالا ابنة وبه نطق القرآن في قوله "ومريم ابنة عمران" وفي قوله سبحانه إخبارا عن خطاب شعيب لموسى عليهما السلام "إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين" وعليه قول أبي العمثيل

لقيت ابنة السهمي زينب عن عفر ونحن حرام مسى عاشرة العشر
فكلمتها ثنتين كالماء مـنـهـمـا وأخرى على لوح أحر من الجمر

أراد بالكلمة الأولى تحية القدوم وبالأخرى سلام الوداع -ويقولون ودعت قافلة الحاج- فينطقون بما يتضاد الكلام فيه لأن التوديع إنما يكون لمن يخرج إلى السفر والقافلة اسم للرفقة الراجعة إلى الوطن فكيف يقرن بين اللفظتين مع تنافي المعنيين ووجه الكلام أن يقال تلقيت قافلة الحاج واستقبلت قافلة الحاج ويشاكل هذا التناقض قولهم رب مال كثير أنفقته فينقضون أول كلامهم بآخره ويجمعون بين المعنى وضده لأن رب للتقليل فكيف يخبر بها عن المال الكثير -ويقولون فلان أنصف من فلان- إشارة إلى أنه يفضل في النصفة عليه فيحيلون المعنى فيه لن معنى هو أنصف منه أي أقوم منه بالنصافة التي هي الخدمة لكونه مصدر نصفت القوم أي خدمتهم فأما إذا أريد به التفضيل في الانصاف فلا يقال إلا هو أحسن انصافاً منه أو أكثر انصافاً وما أشبه ذلك والعلة فيه أن الفعل من الانصاف أنصف وأفعل الذي للتفضيل لا يبنى إلا من الفعل الثلاثي لتنتظم حروفه فيه إذ لو بنى مما جاوز الثلاثي لاحتيج إلى حذف جزء منه ولو فعل ذلك لاستحال البناء هدما والزيادة المجتلبة له ثلما فأما قول حسان بن ثابت

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصـل

فانما قال ارخاهما والقياس أن يقال أشدهما ارخاء لأن أصل هذا الفعل رخو فبناه منه كما قالوا ما أحوجه إلى كذا فبنوه من حوج وإن كان قياسه أن يقال ما أشد حاجته ولهذا البيت حكاية يحسن أن نعقب بروايتها ونضوع نشر ملحتها وهي ما رواه أبو بكر محمد بن أبي القاسم الانباري عن أبيه قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال حدثنا احمد بن عبد الملك بن أبي الشمال السعدي قال حدثنا ابو ظبيان الحماني قال اجتمع قوم على شراب لهم فغناهم مغنيهم بشعر حسان

ان التي ناولتني فـرددتـهـا قتلت قتلت فهاتها لم تقـتـل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصـل

فقال بعضهم امرأته طالق إن لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي عن علة هذا الشعر لم قال ان التي فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا إلى بني شقرة وعبيد الله بن الحسن يصلي عندهم فلما فرغ من صلاته قالوا قد جئناك في أمر دعتنا إليه ضرورة وشرحوا له خبرهم وسألوه الجواب فقال إن التي ناولتني فرددتها عني بها الخمر الممزوجة بالماء ثم قال من بعد كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المحتلبة من العنب والماء المحتلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات في قوله تعالى" وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا" قال الشيخ الرئيس أبو محمد هذا ما فسره القاضي عبيد الله بن الحسن وكان ممن يرمق بالمهابة ولا يسمح بالدعابة وقد بقي في الشعر ما يحتاج إلى كشف سره وتبيان نكته أما قوله ان التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فانه خاطب به الساقي الذي كان ناوله كأسا ممزوجة لأنه يقال قتلت الخمر إذا مزجتها فكأنه أراد أن يعلمه أنه قد فطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان في تجنيس اللفظ ثم انه عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه ما لم يقتل يعني الصرف التي لم تمزج وقوله ارخاهما للمفصل يعني به اللسان وسمي مفصلا بكسر الميم لأنه يفصل بين الحق والباطل وليس ما اعتمده عبيد الله بن الحسن من الاسماح وخفض الجناح مما يقدح في نزاهته أو يغض من نبله ونباهته ويضارع هذه الحكاية في وطاءة القضاة المتقشفين للمستفتين وتلاينهم في مواطن اللين ما حكى أن حامد بن العباس سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الخمار وقد علق به فأعرض عن كلامه وقال ما أنا وهذه المسألة فخجل حامد منه ثن التفت إلى قاضي القضاة أبي عمر فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى "وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" وقال النبي صلى عليه وسلم "استعينوا في الصناعات بأهلها" والأعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال

وكأس شربت على لـذة وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس في الإسلام فقال

دع عنك لومي فان اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فأسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما ضرك يا بارد أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسألة بقول الله تعالى أولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتفصى من العهدة فكان خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه لما ابتدأه بالمسألة -ويقولون لمن أصابته الجنابة قد جنب- فيوهمون فيه لأن معنى جنب أصابته ريح الجنوب فأما الجنابة فيقال فيه أجنب وجوز أبو حاتم السجستاني فيه جنب واشتقاقه من الجنابة وهي البعد فكأنه سمى بذلك لتباعده عن المساجد إلى أن يغتسل فأما قول ابن عباس رضي الله عنه الإنسان لا يجنب والثوب لا يجنب فأراد به أن الإنسان لا يجنب بمماسة الجنب وكذلك الثوب إذا لبسه الجنب -ويقولون عندي ثمان نسوة وثمان عشرة جارية وثمانمائة درهم- فيحذفون الياء من ثمان في هذه المواطن الثلاثة والصواب اثباتها فيها فيقال ثماني نسوة وثماني عشرة جارية وثماني مائة درهم لأن الياء في ثمان ياء المنقوص تثبت في حال الإضافة وحالة النصب كالياء في قاض فأما قول الأعشى

ولقد شربت ثمانيا وثمـانـيا وثمان عشرة واثنتين وأربعا

فانه حذف الياء لضرورة الشعر كما حذفت من المنقوص المعرف في قول الشاعر

وطرت بمنصلى في يعملات دوامى الأيد يخبطن السريحا

يريد الأيدي وقد جوز في ضرورات الشعر حذف الياءات من أواخر الكلم والاجتزاء عنها بالكسرة الدالة عليها كقول الراجز

كفاك كف ما تلـيق درهـمـا جودا وأخرى تعط بالسيف الدما

-ويقولون ابتعت عبدا وجارية أخرى- فيوهمون فيه لأن العرب لم تصف بلفظتي آخر وأخرى إلا ما يجانس المذكور قبله كما قال سبحانه "أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى" وكما قال تعالى" فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر" فوصف جل اسمه مناة بالأخرى لما جانست العزى واللات ووصف الأيام بالاخر لكونها من جنس الشهر والأمة ليست من جنس العبد لكونها مؤنثة وهو مذكر فلم يجز لذلك أن تتصف بلفظة أخرى كما لا يقال جاءت هند ورجل آخر والأصل في ذلك أن آخر من قبيل افعل الذي تصحبه من ويجانس المذكور بعده يدل على ذلك أنك إذا قلت قال الفند الزماني وقال آخر كان تقدير الكلام وقال آخر من الشعراء وإنما حذفت لفظة من لدلالة الكلام عليها وكثرة استعمال آخر في النطق وقول الشاعر

صلى على عزة الرحمن وابنتها ليلى وصلى على جاراتها الأخر

فمحمول على أنه جعل ابنتها جارة لها لتكون الآخر من جنسها ولولا هذا التقدير لما جاز أن يعقب ذكر البنت بالجارات بل كان يقول وصلى على بناتها الأخر -ويقولون في جمع بيضاء وسوداء وخضراء بيضاوات وسوداوات وخضراوات- وهو لحن فاحش لأن العرب لم تجمع فعلاء التي هي مؤنث افعل بالألف والتاء بل جمعته على فع لنحو خضر وسود وصفر كما جاء في القرآن ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود والعلة فيه انه لما كان هذا النوع من المؤنث على غير لفظ المذكر مبينا على صيغة أخرى قل تمكنه وامتنع من الجمع بألف والتاء كما امتنع مذكره من الجمع بالواو والنون فأما قوله صلى الله عليه وسلم "ليس في الخضراوات صدقة" فالخضراء هنا ليست صفة بل هي اسم جنس للبقلة وفعلاء في الأجناس تجمع بالألف والتاء نحو بيداء وبيداوات وصحراء وصحراوات وكذلك إذا كانت صفة خارجة عن مؤنث أفعل نحو نفساء ونفساوات -ويقولون السبع الطول بكسر الطاء- فيلحنون فيه لأن الطول هو الحبل ووجه الكلام أن يقال السبع الطول بضم الطاء لأنها جمع الطولى وكل ما كان على وزن فعلى التي هي مؤنث أفعل جمع على فعل كما جاء في القرآن إنها لإحدى الكبر وهي جمع كبرى -ويقولون عند نداء الأبوين يا أبتي ويا أمتي-فيثبتون الإضافة فيهما مع إدخال تاء التأنيث عليهما قياسا على قولهم يا عمتي وهو وهم يشين وخطأ مستبين ووجه الكلام أن يقال يا أبت ويا أمت بحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كما قال تعالى "يا أبت لا تعبد الشيطان يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا أو يقال يا أبتا ويا أمتا بإثبات الألف والاختيار أن يوقف عليهما بالهاء فيقال يا أبه ويا أمه فإن قيل فكيف دخلت تاء التأنيث على الأب وهو مذكر فالجواب أنه لا غرو في ذلك ألا ترى أنهم قالوا رجل ربعة ورجل فروقة فوصفوا المذكر بالمؤنث وقالوا امرأة حائض فوصفوا المذكر بالمؤنث وإنما يستعمل ما ذكرناه في النداء خاصة فأما قولهم عمتي وخالتي فإن التاء فيهما تثبت في غير موطن النداء -ويقولون عيرته بالكذب- والأفصح أن يقال عيرته الكذب بحذف الباء كما قال أبو ذؤيب

وعيرني الواشون أني أحبهـا وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وتمثل بعجز هذا البيت عبد الله بن الزبير حين ناداه أهل الشأم لما حصر في المسجد الحرام يا ابن ذات النطاقين فقال إيه والله -وتلك شكاة ظاهر عنك عارها- أي زائل عنك والعرب تقول اللؤم ظاهر عنك والنعمة ظاهرة عليك أي ملازمة لك وجاء في تفسير قوله تعالى "أم تنبؤنه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول" أي بباطل من القول ولم يسمع في كلام بليغ ولا شعر فصيح تعدية عيرته بالباء فأما من روى بيت مقنع الكندي

يعيرني بالدين قومي وإنـمـا تدينت في أشياء تكسبهم حمدا

فهو تحريف من الراوي في الرواية والرواية الصحيحة يعاتبني في الدين قومي -ويقولون ابدأ به أولا- والصواب أن يقال ابدأ به أول بالضم كما قال معن بن أوس

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على اينا تعدو المـنـية أول

وإنما بنى أول هنا لان الإضافة مرادة فيه إذ تقدير الكلام ابدأ به أول الناس فلما اقتطع عن الإضافة بنى كأسماء الغايات التي هي قبل وبعد ونظائرهما ومعنى تسمية هذه الأسماء بالغايات أي قد جعلت غاية للنطق بعدما كانت مضافة ولهذه العلة استوجبت أن تبنى لأن آخرها حين قطع عن الإضافة صار كوسط الكلمة ووسط الكلمة لا يكون إلا مبنيا وإنما بنيت على الضم لأنها في حالة الإضافة تعرب تارة بالنصب وأخرى بالجر فخصت عند البناء بالضم الذي خالف حركتي إعرابها ليعلم به أنها مبنية لا معربة على أن أول إذا أعرب لا يصرف لأنه على وزن أفعل وهو صفة ولهذا قالوا كان ذلك عاما أول وما رأيته مذ أول من أمس ولم يسمع من صرفه إلا في قولهم ما تركت له أولا ولا آخرا فجعلوه في هذا الكلام اسم جنس وأخرجوه عن حكم الصفة واجروا هذا الكلام بمعنى ما تركت له قديما ولا حديثا ومن مفاحش ألحان العامة إلحاقهم هاء التأنيث بأول فيقولون الأولة كناية عن الأولى ولم يسمع في لغات العرب إدخالها على أفعل الذي هو صفة مثل أحمر وابيض ولا على الذي هو للتفضيل نحو أفضل وأول والعجب أنهم في حال صغرهم ومبدأ تعلمهم في مكاتبهم يقولون جمادى الأولى فيلفظون بالصحيح فإذا نبلوا ونبهوا أتوا باللحن القبيح ونظير أول في المبنيات على الضم أنك تقول انحدر من فوق وأتاه من قدام واستردفه من وراء وأخذه من تحت فتبنى هذه الأسماء على الضم وإن كانت ظروف أمكنة لاقتطاعها عن عن الإضافة وعلى ذلك قول الشاعر

ألبان إبل تعلة بن مساور ما دام يملكها عليّ حرام
لعن الإله تعلة بن مساور لعنا يصب عليه من قدام

أراد من قدامه فلما حذف الضمير منه واقتطعه عن الإضافة بناه على الضم -ويقولون لنوع من المشموم سوسن بضم السين- فيوهمون فيه كما أن بعض المحدثين ضمها فتطير من اسمه حين أهدى إليه وكتب إلى من أهداه له

لم يكفك الهجر فأهديت لي تفاؤلا بالسوء لي سوسنه
أولها سوء وباقي اسمها يخبر أن السوء يبقى سنه

والصواب أن يقال فيه سوسن بفتح السين كذلك يقال روشن بفتح الراء ليلحقا بما جاء على وزن فوعل بفتح الفاء نحو جوهر وجورب وكوثر وتولب إذ ما سمع في أمثلة العرب فوعل إلا جؤذر في لغة بعضهم قال الشيخ الإمام رحمه الله وقد اذكرني السوسن أبياتا أنشدنيها علي بن عبد العزيز الأديب المعري لأبي بكر القوطية الأندلسي يصف فيها السوسن مما أبدع فيه وأحسن فأوردتها على وجه التشذير لسمط هذا الفصل والتأبين لمن درج من أولي الفضل وهي

قم واسقنيها على الورد الذي فعما وبادر السوسن الغض الذي نجما
كأنما ارتضعا خلفي سمائهما فأرضعت لبنا هذا وذاك دما
جسمان قد كفر الكافور ذاك وقد عق العقيق احمرارا ذا وما ظلما
كأن ذا طلية نصت لمعترض وذاك خد غداة البين قد لطما
أولا فذاك أنابيب اللجين وذا جمر الغضا حركته الريح فاضطرما

-ويقولون جرى الوادي فطم على القليب- والمسموع في هذا المثل فطم على القريّ وهو مجرى الماء إلى الروضة ومعنى طم علا وقهر ومنه سميت القيامة طامة وهذا المثل يضرب في هجوم الخطب الهائل المصغر ما عداه من النوازل ونظيره في التصحيف يا حامل اذكر حلا وإنما هو يا حابل أي يا من شد الحبل اذكر وقت حله ويحكى أن اللحياني أول من صحف هذا المثل -ويقولون لمن نبت شاربه قد طر شاربه بضم الطاء- والصواب أن يقال طر بفتح الطاء كما يقال طر وبر الناقة إذا بدا صغاره وناعمه ومنه يقال شارب طرير وعليه قول الشاعر

وما زلت من ليلى طر شاربي إلى اليوم أبدى احنة وأداجن
وأضمر في ليلى لقوم ضغينة وتضمر في ليلى عليّ من الضغائن

فأما طر بضم الطاء فمعناه قطع ومنه اشتقاق اسم الطرار وبه سميت الطرة لأنها تقطع وأما قولهم جاء القوم طرا فهو بمعنى جميعا وانتصابه على الحال ونقيض هذا الوهم قولهم في النادم المتحير سقط في يده بفتح السين والصواب أن يقال فيه سقط في يده وقد سمع عنهم اسقط إلا أن الأولى أفصح لقوله تعالى "ولما سقط في أيديهم"
-ويقولون ركض الفرس بفتح الراء وقد أقبلت الفرس تركض بضم التاء- والصواب أن يقال ركض بضم الراء وأقبلت تركض بضم التاء وأصل الركض في اللغة تحريك القوائم ومنه قوله تعالى "اركض برجلك" ولهذا قيل للجنين إذا اضطرب حيا في بطن أمه قد ارتكض ومن أبيات المعاني المشكلة

قد سبق الجياد وهو رابـض وكيف لا يسبق وهو راكض

والمراد به أن أمه سبقت الجياد حين أجريت وهي حامل به وأضاف السبق إليه لاتصاله بأمه وأشار بركضه إلى تحريك قوائمه في مربضه ومقره وقد توهم بعضهم أن الركض لا يستعمل إلا في الخيل وليس كذلك بل يقال ركض البعير برجله أي رمح وركض الطائر إذا حرك جناحيه ثم ردهما في الطيران كما قال سلامة بن جندل

أودى الشاب حميدا ذو التعاجيب أودى وذلك شأن غير مطلوب
ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبـه لو كان يدركه ركض اليعاقيب

يعني باليعاقيب ذكر الحجل وهو جمع يعقوب ويروى ركض اليعاقيب بالضم والفتح فمن رفعه جعله فاعل يدرك وأراد به أن هذا الطائر على سرعة طيرانه لا يدرك الشباب إذا ولى فكيف يدركه غيره ومن رواه بالنصب نصبه بفعل مضمر تقديره ولى يركض ركض اليعاقيب وجعله من صلة صفة الشباب وجعل فاعل يدركه ضمير الشيب المستتر فيه ويصير في البيت تقديم وتأخير وتصحيحه ولى الشباب حثيثا يركض ركض اليعاقيب وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه قال الشيخ الإمام أبو محمد الحريري وللعامة وبعض الخاصة عدة أوهام في إسناد الفعل إلى من فعل به يماثل وهمهم في قولهم ركضت الدابة وقولهم قد حلبت ناقته رسلا كثيرا ولم تحلب شاته إلا لبنا يسيرا فيسندون الحلب إلى المحلوبة وهو موقع بها ووجه القول حلبت ناقتك ولم تحلب حلوبتك -ويقولون أيضا حكني جسدي- فيجعلون الجسد هو الحاك وعلى التحقيق هو المحكوك والصحيح أن يقال أحكني جسدي أي ألجأني إلى الحك وكذلك يقولون اشتكت عين فلان والصواب أن يقال اشتكى فلان عينه لأنه هو المشتكي لا هي -ويقولون سار ركاب السلطان- إشارة إلى موكبه المشتمل على الخيل والرجل وأجناس الدواب وهو وهم ظاهر لأن الركاب اسم يختص بالإبل وجمعها ركائب والراكب هو راكب البعير خاصة وجمعه ركبان فأما الركب والأركوب فقد جوز الخليل أن يطلق اسمهما على راكبي كل دابة إلا أن الأركوب أكثر من الركب عدة وأوفى جماعة -ويقولون للعبة الهندية الشطرنج بفتح الشين- وقياس كلام العرب أن تكسر لأن من مذهبهم أنه إذا عرب الاسم الأعجمي رد إلى ما يستعمل من نظائره في لغتهم وزنا وصيغة وليس في كلامهم فعلل بفتح الفاء وإنما المنقول عنهم في هذا الوزن فعلل بكسر الفاء فلهذا وجب كسر الشين من الشطرنج ليلحق بوزن جردحل وهو الضخم من الإبل وقد يجوز في الشطرنج أن يقال بالشين المعجمة لجواز اشتقاقه من المشاطرة وأن يقال بالسين المهملة لجواز أن يكون اشتق من التسطير عند التعبية ومنه تسمية دعاء العاطس التسميت والتشميت إشارة بالسين المهملة أن يرزق السمت الحسن وبالشين المعجمة إلى جمع الشمل لأن العرب تقول تشمتت الإبل إذا اجتمعت في المرعى وقيل أن معناهما بالشين المعجمة الدعاء لشوامته وهي اسم الأطراف ولهذا نظائر في كلام العرب كقولهم لنوع من التمر سهريز وشهريز ولما يختم به الروسم والروشم وكقولهم انتشف لونه وانتسف إذا تغير وانتقع وحمس الرجل وحمش إذا اشتد غضبه وقالوا تنسمت منه علما وتنشمت منه علما فمن قاله بالسين المهملة جعل اشتقاقه من النسيم وشبه ما يشدوه

منه حالا بعد حال وفي الوقت بعد الوقت باستنشاق النسيم ومن قاله بالشين المعجمة أخذه من قوله نشم في الأمر أي ابتدأ به إلا أن الأصمعي يرى أن هذه اللفظة لا تستعمل إلا في الشر على ما تقدم ذكره
عنه وقد جاء أيضا في الآثار والأشعار ألفاظ رويت بهذين الحرفين على اختلاف المعنيين فروى في صفته عليه السلام أنه كان منهوش القدمين أي معروقهما وذكر ابن الأعرابي في نوادره أنه يقال هوس الناس وهوشوا إذا وقعوا في الفساد والنهش بإعجام الشين ما كان بالاضراس والنهس بإهمالها ما كان بأطراف الأسنان وروى محاش النساء حرام بإعجام الشين وإهمالها والمراد به مع إعجام الشين وإهمالها الدبر وواحدالمحاش محشة وفي بعض الروايات أن الشهر قد تشعشع فلو صمنا بقيته روى بإعجام السين وإهمالها فمن رواه بالمعجمة ذهب به إلى دقة الهلال وقلة ما بقي من الشهر كما يقال شعشعت الشراب بالماء إذا رققته به ومن رواه بالسين المهملة وهو أشهر الروايتين فالمراد به أن الشهر قد أدبر وفنى إلا أقله وجاء في حديث عمر رضي الله عنه أنه كان ينس الناس بعد العشاء الآخرة بالدرة ويقول انصرفوا إلى بيوتكم فمن رواه بالسين المهملة عنى به يسوقهم ومنه سميت العصا منسأة للسوق بها ومن رواه بالمعجمة فمعناه يتناولهم مأخوذ من قوله تعالى وأنى لهم التناوش وورد في الآثار أن عليا كرم الله وجهه خطب الناس على منبر الكوفة وهو غير مشكوك فمن رواه بالشين المعجمة فمعناه أنه غير مشدود وأصله من الشك وهو لصوق العضد بالجنب ومعناه بالسين المهملة مسمور من السك وهو تضبيب الباب ونقل عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري فمن رواه بالسين المهملة عنى الرئة ومن رواه بالشين المعجمة مع الجيم فقال شجري فالمعنى مجمع اللحيين ويروي بيت النابغة

فإن يك عامر قد جاء جهلا فان مطية الجهل الشباب

فمن رواه بالشين المعجمة فالمراد به الشبيبة كما قد روى في هذا البيت مظنة الجهل أي موضعه وروى مطية الجهل أي مركبه ومن رواه بالسين المبهمة المكسورة فالمعنى به السب وقد روى أيضا من شعر الأعشى بيتان بهذين الحرفين أحدهما قوله

نفى الذم عن أهل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهـق

فمن رواه كجابية السيح بالسين المهملة عنى بالجابية دجلة وبالسيح الماء السائح ومن رواه بالشين المعجمة جعل الإشارة فيه إلى كسرى لأنه صاحب دجلة وأراد الأعشى بهذا التشبيه أن جفنة آل المحلق تمد بالطعام بعد الطعام كما تمد دجلة بالماء بعد الماء والبيت الآخر في وصفه الخمر والخمار

وقابلها الريح في دنـهـا وصلى على دنها وارتشم

فمن رواه ارتشم بالشين المعجمة عنى به أنه دعى للدن ثم ختم عليه ومن رواه بالسين المهملة أراد أنه دعا لها وعوذ عليها كما قال القطامي يصف فلكا

في ذي جلول يقضي الموت صاحبه إذا الصراري من أهواله ارتسمـا

يعني أن الصراري هو الملاح عوذ وكبر حين شاهد عظم الأهوال وعاين تلاطم الأمواج والجلول جمع جل وهو شراع السفينة ويروي بيت أوس بن حجر

مخلفون ويقضي الناس أمرهم غس الأمانة صنبور بصنبور

فمن رواه بالسين المهملة عنى أنهم ضعفاء الأمانة ومن رواه بالشين المعجمة فاشتقاقه من الغش وحكى الأصمعي قال أنشدنا أبو عمر بن العلاء

فما جبنوا انا نشد عـلـيهـم ولكن رأوا نارا تحس وتسفع

قال فذكرت ذلك لشعبة فقال ويلك إنما هو تحش وتسفع أي تحرق وتسود قال الأصمعي وقد أصاب أبو عمرو لأن معنى تحس توقد وأصاب شعبة أيضا ولم أر بالشعر أعلم منه وحكى خلف الأحمر قال أخذت علي المفضل الضبي وقد أنشد لامرئ القيس

نمس بأعراف الجياد اكـفـنـا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

فقلت إنما هو نمش لأن المش مسح اليد بالشيء الخشن وبه سمى منديل الغمر مشوشا وأما قول الشاعر

أعلمه الرماية كـل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فالرواية الصحيحة فيه فلما استد بالسين المبهمة ويكون المراد به السداد في الرمي وقد رواه بعضهم بالشين المعجمة التي بمعنى القوة ومثله في اختلاف الرواية قول عروة بن أذينة

لقد علمت وما الإسراف من خلقي إن الذي هو رزقي سوف يأتيني

فروى أكثرهم لفظة الإسراف بالسين المغفلة وبعضهم بالشين المعجمة ليكون معناها التطلع إلى الشيء والاستشراف له وهو اختيار المرتضى أبي القاسم الموسوي رحمه الله ولهذا البيت حكاية تحث على استشعار اليقين وإعلاق الأمل بالخالق دون المخلوقين فجنحته بها تحلية لعاطله ومنبهة على صدق قائله وهي ما رويته من عدة طرق أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعنيني تـطـلـبـه ولو قعدت أتاني لا يعـنـيـني

وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشأم في طلب الرزق فقال له لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ واذكرت ما انسانيه الدهر وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وسار راجعا نحو الحجاز فمكث هشام يومه غافلا عنه فلما كان في الليل تعار على فراشه فذكره وقال في نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد إليّ فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع هذا شاعر لا آمر ما يقول فلما اصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه فقال لا جرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفي دينار وقال له الحق بهذه ابن أذينة فأعطاه إياها فسار إليه فلم يدركه إلا وقد دخل بيته فقرع الباب عليه فخرج فأعطاه المال فقال أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولي سعيت فأكديت ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق ومما يروى أيضا بهذين الحرفين قول أبي بكر بن دريد في مقصورته

أرمق العيش علـى بـرض فـأن رمت ارتشافا رمت صعب المنتشا

فمن رواه بالسين المهملة فمعناه المبتعد واشتقاقه من أنسأ الله أجله أي باعده ومن رواه بالشين المعجمة فمعناه استقصى الشرب بالشافر -ويقولون في جواب من قال سألت عنك سأل عنك الخير- فيستحيل المعنى بإسناد الفعل إليه لأن الخير إذا سأل عنه فكأنه جاهل به أو متناه عنه وصواب القول سئل عنك الخير أي كان من الملازمة لك والاقتران بك بحيث يسأل عنك -ويقولون للمتشبع بما ليس عنده مطرمذ وبعضهم يقول طرمذار كما قال بعض المحدثين

ليس للحاجـات إلا من له وجه وقاح
ولسان طرمـذار وغــدوّ ورواح
إن يكن أبطأت الحا جة عني والسراح
فعليّ السعي فيهـا وعلى الله النجاح

والصواب فيه طرماذ على ما حكاه أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت وأنشد عليه لبعض الرجاز

سلمت في يومي على معاذ سلام طرماذ على طرماذ

-ويقولون للاثنين هاتا بمعنى أعطيا- فيخطئون فيه لأن هاتا اسم للإشارة إلى المؤنثة الحاضرة وعليه قول عمران بن حطان

وليس لعيشنا هذا مهـاة وليست دارنا هاتا بدار
وان قلنا لعل بها قرارا فما فيها لجيّ من قرار

والصواب أن يقال لهما هاتيا بكسر التاء لأن العرب تقول للواحد المذكر هات بكسر التاء وللجمع هاتوا كما تقول العامة هاتم والدليل عليه قوله تعالى "قل هاتوا برهانكم" وتقول للمؤنث هات ولجماعة الإناث هاتين وتقول للاثنين من المذكر والمؤنث هاتيا من غير أن يفرقوا في الأمر لهما كما لم يفرقوا بينهما في ضمير المثنى في مثل قولك غلامهما وضربهما ولا في علامة التثنية التي في قولك الزيدان والهندان وكان الأصل في هات آت المأخوذ من

أتى أي أعط قلبت الهمزة هاء كما قلبت في أرقت الماء وفي إياك فقيل هرقت وهياك وفي ملح العرب أن رجلا قال لإعرابي هات فقال والله ما أهاتيك أي أعطيك
يقولون رأيت الأمير وذويه- فيوهمون فيه لأن العرب لم تنطق بذي الذي بمعنى صاحب إلا مضافا إلى اسم جنس كقولك ذو مال وذو نوال فأما إضافته إلى الأعلام وإلى أسماء الصفات المشتقة من الأفعال فلم يسمع في كلامهم بحال ولهذا لحن من قال "صلى الله على نبيه محمد وذويه" فكما لم يقولوا ذو عالم ولا ذو ظريف لم يقولوا ذو نبيّ ولا ذو أمير وقصروا ذا على إضافته إلي الجنس ولهذا لم يرفع السببي لأنه ليس بمشتق من فعل فيرفع كما ترفع الأفعال فلا يجوز أن يقال مررت برجل ذي مال أبوه فإن أردت تصحيح هذا الكلام جعلت الجملة مبتدأ به فقلت مررت برجل ذو مال أبوه فيصح حينئذ الكلام لأن النكرة تختص بأن توصف الجملة -ويقولون الحوامل تطلقن والحوادث تطرقن- فيغلطون فيه لأنه لا يجمع في هذا القبيل بين تاء المضارعة والنون التي هي ضمير الفاعلات ووجه الكلام أن يلفظ فيه بياء المضارعة المعجمة باثنتين من تحت كما قال الله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وعلى هذا يقال الغواني يمرحز والنوق يسرحن وفيما يحكى أن مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحمادا الراوية كانوا يشربون ذات يوم ومعهم نديم لهم فندرت منه فلتة فخجل ونهض ولم يعد إليهم وغاب أياما عنهم فكتب إليه مطيع بن اياس

أمن قلوص غدت لم يؤذها أحـد إلا تذكرها بالرمـل أوطـانـا
خان العقال لها فانبت إذ نفـرت وإنما الذنب فيها للـذي خـانـا
أولتينا منك هجرانا ومـقـلـية ولم تزرنا كما قد كنت تغشانـا
خفض عليك فما في الناس ذوابل إلا أينـقـه يشـردن أحـيانـا

-ويقولون شلت الشيء- فيعدون اللازم بعير حرف التعدية ووجه الكلام أن يقال أشلت الشيء أو شلت به فيتعدى بهمزة النقل أو بالباء كما تقول العرب شالت الناقة بذنبها وأشالت ذنبها والشائل عندهم هو المرتفع ومنه قول الشاعر

يا قوم من يعذر في عجرد القاتل المرء على الدانق
لما رأى ميزانـه شـائلا وجاه بين الأذن والعاتـق

وحكى ثعلب عن ابن الأعرابي قال حضرت أبا عبيدة في بعض الأيام فأخطأ في موضعين فقال شلت الحجر وإنما هو شلت بضم الشين ثم انشد شات يدا فارية فرتها فضم الشين وإنما هو بالفتح وذكر بعض مشايخ أهل اللغة أن من أفحش ما يلحن فيه العامة قولهم شال الطير ذنبه لأنهم يلحنون فيه ثلاث لحنات إذ وجه القول أشال الطائر ذناباه وذكر أبو عمر الزاهد أن أصحاب الحديث يخطئون في لفظة ثلاثية في ثلاثة مواضع فيقولون في حراء اسم الجبل حرى فيفتحون الحاء وهي مكسورة ويكسرون الراء وهي مفتوحة ويقصرون الألف وهي ممدودة وحراء مما صرفته العرب ومما لم تصرفه -ويقولون لمن يناول الشيء ها بقصر الألف فيلحنون فيه لأن ألفه ممدودة كما جاء في الحديث الذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء ويجوز فيه فتح الهمزة وكسرها مع مد الألف في كلتيهما ولا تقصر هذه الألف إلا إذا اتصلت بها كاف الخطاب فيقال هاك كما يروى أن عليا رضي الله عنه آب إلى فاطمة من بعض مواطن الحرب وسيفه يقطر من الدم فقال "أفاطم هاك السيف غير مذمم" وعند النحويين أن المدة في قولك هاء جعلت بدلا من كاف الخطاب لأن أصل وضعها أن تقترن كاف الخطاب بها -ويقولون حسد حاسدك بضم الحاء فيعكسون المراد به ويجعلون المدعو عليه مدعوا له والصواب أن يقال حسد حاسدك بفتح الحاء أي لا انفك حسودا ولازلت محسودا وإلى هذا أشار الشاعر في قوله

إن يحسدونـي فـإنـي غـير لائمـهـم قبلي من الناس من أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولـهـم مـا بـي ومـا بـهـم ومات أكثـرنـا غـيظـا بـمـا يجـد

ويقولون أعطاه البشارة- والصواب فيه ضم الياء لأن البشارة بكسر الباء ما بشرت به وبضمها حق ما يعطى عليها فأما البشارة بفتح الباء فإنها الجمال ومنه قولهم فلان بشير الوجه أي حسنه وعند أكثرهم أن لفظة بشرته لا تستعمل إلا في الإخبار بالخير وليس كذلك

بل قد تستعمل في الإخبار بالشر كما قال سبحانه "فبشرهم بعذاب أليم" والعلة فيه أن البشارة إنما سميت بذلك لاستبانة تأثير خبرها في بشرة المبشر بها وقد تتغير البشرة للمساءة بالمكروه كما تتغير عند المسرة بالمحبوب إلا أنه إذا أطلق لفظها وقع على الخير كما أن النذارة تكون عند إطلاق لفظها في الشر وعلى ذلك قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ونظيرها لفظة وعد تستعمل في الخير كما قال عز اسمه "وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض" وتستعمل أيضا في الشر كما قال تعالى "النار وعدها الله الذين كفروا" فإن أطلق لفظة الوعد أو لفظ وعد انصرف إلى الخير كما تقول العرب في الشجر المورق شجر واعد تومئ إلى أنه وعد بالإثمار وكقولهم في المثل أنجز حر ما وعد فأما الوعيد والإيعاد فلا يستعملان إلا في الشر كقول الشاعر

وإني وان أوعدته أو وعـدتـه لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

ونقيض لفظة البشارة لفظة المأتم يتوهم أكثر الخاصة أنها مجمع المناحة وهي عند العرب النساء يجتمعن في الخير والشر بدلالة قول الشاعر

رمته أناة من ربيعة عـامـر نؤوم الضحى في مأتم أي مأتم

أي في نساء أي نساء ويروي أي مأتم بالرفع على حذف الخبر ويكون تقدير الكلام أيّ مأتم هو -ويقولون تفرقت الأهواء والراء- والاختيار في كلام العرب أن يقال في مثله افترقت كما جاء في الخبر تفترق أمتي كذا وكذا فرقة أي تختلف فأما لفظة التفرق فتستعمل في الأشخاص والأجسام فإذا قيل إن لزيد ثلاثة اخوة متفرقين كان المعنى أن كل واحد منهم ببقعة وان قيل في وصفهم متفرقين كان المعنى أن أحدهم لأبيه وأمه والآخر لأبيه والثالث لأمه وكذلك يقال فرق بتشديد الراء فيما كان من قبيل الجمع وفرق بالتخفيف فيما يراد به التمييز كقولك فرق بين الحق والباطل والحالي والعاطل -ويقولون في مصدر ذكر الشيء تذكار بكسر التاء- والصواب فتحها كما تفتح في تسآل وتسيار وتسكار وتهيام وعليه قول كثير

وإني وتهيامي بعزة بعدمـا تخليت مما بيننا وتخـلـت
لكالمرتجى ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلـت

وذكر أهل العربية أن جميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء إلا مصدرين تبيان وتلقاء قال بعضهم وتنضال أيضا وأما أسماء الأجناس والصفات فقد جاءت منها عدة أسماء على تفعال بكسر التاء تجفاف وتمثال وتمساح وتقصار وهي المخنقة الصغيرة وتمرار وهو بيت صغير للحمام ورجل تبتاء وهو العذيوط وتبراك وتعشار وترباع وهي أسماء أمكنة وقالوا مر تهواء من الليل بمعنى هوى ورجل تنبال أي قصير وتلعاب أي كثير اللعب وتلقام أي سريع اللقم وقالوا أيضا ناقة تضراب إذا ضربها الفحل وثوب تلفاق أي لفاق -ويقولون للقائم اجلس- والاختيار على ما حكاه الخليل بن أحمد أن يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وعلل بعضهم لهذا الاختيار بان القعود هو الانتقال من علو إلى سفل ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد وأن الجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو ومنه سميت نجد جلسا لارتفاعها وقيل لمن أتاها جالس وقد جلس ومنه قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق

قل للفرزدق والسفاهة كاسمهـا ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أي اقصد نجدا وموجب هذا البيت أن عمر بن عبد العزيز لما كان واليا على المدينة قال للفرزدق إن كنت تلزم العفاف وإلا فاخرج إلى نجد فان المدينة ليست بدار مقامة لك وحكى أبو عبد الله بن خالويه قال دخلت يوما على سيف الدولة بن حمدان فلما مثلت بين يديه قال لي اقعد ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطلاعه على أسرار كلام العرب

ويقولون في جواب من مدح رجلا أو ذمه نعم من مدحت وبئس من ذممت- والصواب أن يقال نعم الرجل من مدحت وبئس الشخص من ذممت كما قال عمرو بن معدي كرب وقد سئل عن قومه نعم القوم قومي عند السيف المسلول والمال المسئول ويكون تقدير الكلام في قولك نعم الرجل زيد أي الممدوح من الرجال زيد وقد يجوز أن يقتصر على ذكر الجنس ويضمر المقصود بالمدح والذم اكتفاء يتقدم ذكره فيقال نعم الرجل وبئس العبد كما

جاء في التنزيل "ووهبنا لداود سليمان نعم العبد" أي نعم العبد سليمان فحذف اسمه لتقدم ذكره وعلم المخاطبين به والأصل في ذلك أن نعم وبئس فعلان وضعا للمدح والذم بعدما نقل عن أصليهما وهما النعم والبؤس وفاعلهما لا يكون أبدا إلا معرفا بالألف واللام اللتين هما للجنس أو ما أضيف إلى ما هما فيه كقولك نعم الرجل زيد ونعم صاحب العشيرة عمرو أو يضمر هذا الاسم على أن تفسره نكرة من جنسه فينصب على التمييز كقوله تعالى "بئس للظالمين بدلا" أي بئس البدل بدلا فأضمره وفسره بالنكرة المنصوبة من جنسه ومنع أهل العربية أن يكون فاعل هذين الفعلين مخصوصا ولهذا لم يجيزوا أن يقال نعم زيد ولا نعم أبو علي حتى يقال نعم الرجل زيد ونعم الرجل أبو علي ويكون تقدير الكلام الممدوح في الرجال زيد وإنما جوز نعم ما صنعت لدلالة الفعل الموجود على الاسم المحذوف إذ تقدير الكلام نعم الفعل ما فعلت فكأن ضمير المحذوف بمنزلة المتلفظ به ومنع علي بن عيسى الربعي من جواز ذلك وقال تصحيح الكلام نعم ما ما فعلت لتكون ما الأولى بمعنى شئ كما أنها في التعجب بمعناه ويصير تقدير الكلام نعم الشيء شيئاً صنعت فيناسب قولهم نعم رجلا زيد وكذلك امتنعوا أن يقولوا نعم هذا الرجل لأن رجلا ههنا صفة لهذا واللام فيه لتعريف الإشارة والخصوص ومن شروط لام التعريف الداخلة على فاعل نعم وبئس أن تكون للجنس المحيط بالعموم فيكون إفراد لفظها في معنى الجمع كاللام التي في قوله تعالى "إن الإنسان لفي خسر" أي الناس بدليل أنه تعالى استثنى منهم الذين آمنوا ولا يجوز استثناء الجمع من المفرد وعند قوم أن وضع نعم وبئس للاقتصار في المدح والذم وليس كذلك بل وضعهما للمبالغة ألا ترى إلى قوله تعالى في تمجيد ذاته وتعظيم صفاته "واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير" وإلى قوله سبحانه في صفة النار التي توعد بها الكفار "ومأواهم جهنم وبئس المهاد" وحكى أبو القاسم بن برهان النحوي أنه كان لشريك بن عبد الله النخعي جليس من بني أمية فذكر شريك في بعض الأيام فضائل عليّ رضوان الله عليه فقال ذلك الأموي نعم الرجل عليّ فأغضبه ذلك وقال له ألعليّ يقال نعم الرجل فأمسك حتى سكن غضبه ثم قال له يا أبا عبد الله ألم يقل الله تعالى في الإخبار عن نفسه فقدرنا فنعم القادرون وقال في أيوب عليه السلام إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب وقال في سليمان عليه السلام "ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب" أفلا رضي لعليّ بما رضي به الله تعالى لنفسه ولأنبيائه فتنبه شريك عند ذلك لوهمه وزادت مكانة ذلك الأموي من قبله -ويقولون لضد الذكر النسيان بفتح النون والسين- فيوهمون فيه لأن النسيان تثنية النساء وهو العرق الذي في الفخذ فأما المصدر من نسي فهو النسيان على وزن فعلان مثل العرفان والكتمان فإن جاءت مصادر في كلام العرب على فعلان بفتح الفاء والعين فهي مما يختص بالحركة والاضطراب كالوخدان والذملان واللمعان والضربان ومن غريب ما جاء على فعلان قولهم في جمع كروان كروان كما قال ذو الرمة

من آل أبي موسى ترى القوم حوله كأنهم الكروان أبـصـرن بـازيا

وذكر بعضهم أنه يجمع صفوان على صفوان وهو من الشاذ

-ويقولون هو بين ظهرانيهم بفتح النون وأجاز أبو حاتم أن يقال ظهريهم وحكى الفراء قال قال أعرابي ونحن في حلقة يونس بن حبيب بالبصرة أين مسكنك فقلت الكوفة فقال لي يا سبحان الله هذه بنوا أسد بين ظهرانيكم وأنت تطلب اللغة بالبصرة قال فاستفدت من كلامه فائدتين إحداهما أنه قال هذه ولم يقل هؤلاء لأنه أشار إلى القبيلة فأنث والثانية أنه قال بين ظهرانيكم بفتح النون ولم يقل بكسرها ويحكى أن المغربي وقف على الجنيد فسأله عن قوله تعالى "سنقرئك فلا تنس" فقال سنقرئك التلاوة فلا تنس العمل به ثم سأل عن قوله عز وجل "ودرسوا ما فيه" فقال تركوا العمل به فقال حرجت أمة أنت بين

ظهرانيها لا تفوض أمرها إليك - ويقولون دخلت الشأم - وهو غلط قبيح وخطأ صريح لأن اسم البلد الشأم ولفظه مذكر والدليل على هذين الأمرين قول الشاعر

يقولون إن الشأم يقتل أهله فمن لي إن لم آته بخلود

ويجوز في المنسوب إليه ثلاثة اوجه شأمي وهو القياس وشآم وشآمي بياء مخففة مثل ياء المنقوص وشأميّ وهو شاذ لأنه يصير بمنزلة المنسوب إلى المنسوب وكذلك جوز في المنسوب إلى اليمن هذه الأوجه الثلاثة وعلى الشاذ منها قول عمر بن أبي ربيعة

إني أتيحت لي يمانية إحدى بني حارث من مذحج

-ويقولون قدم الحاج واحدا واحدا واثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة - والصواب أن يقال في مثله جاؤا أحاد وثناء وثلاث ورباع أو يقال جاؤا موحد ومثنى ومثلث ومربع لأن العرب عدلت بهذه الألفاظ إلى هذه الصيغ لتستغني بها عن تكرير الاسم ويدل معناها على ما يدل مجموع الاسمين عليه ولهذا امتنعوا أن يقولوا للواحد هذا أحاد وللاثنين هما مثنى ولم يمتنعوا من ذلك إلا لزيادة معنى في أحاد على واحد وفي ثناء على اثنين وفسر قوله تعالى " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع " أي لينكح كل منكم ما طاب له من النساء إن شاء اثنتين اثنتين أو ثلاثا ثلاثا أو أربعا أربعا وليس انعطاف بعض هذه الأعداد على بعض انعطاف جمع وكذلك هي في قوله سبحانه "جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع " أي فيهم من له جناحان ومن له ثلاثة أجنحة ومن له أربعة وقد اختلف أهل العربية فيمانطقت به العرب من هذا البناء فقال الأكثرون أنهم لم يتجاوزوا رباع إلا إلى صيغة عشار لا غيركما جاء في شعر الكميت

فلم يستريثوك حتى رميت فوق النصال خصالا عشارا

وروى خلف الأحمر أنهم أصاغوا هذا البناء منسقا إلى عشار وأنشد عليه ما عزى إلى أنه موضوع منه

قل لعمرو يا ابن هند لو رأيت اليوم شنا
لرأت عيناك منهم كل ما كنت تمنى
إذ أتتنا فيلق شهباء من هنا وهنا
وأتت دوسر والملجأ سيرا مطمئنا
ومشى القوم إلى القوم آحادا واثنا
وثلاثا ورباعا وخماسا فأطعنا
وسداسا وسباعا وثمانا فاجتلدنا
وتساعا وعشارا فأصبنا وأصبنا
لا ترى إلا كميا قاتلا منهم ومنا

وقد عيب على أبي الطيب قوله

آحاد أم سداس في احاد ليبلتنا المنوطة بالتناد

ونسب إلى أنه وهم في أربعة مواضع في هذا البيت أحدها أنه أقام احاد مقام واحدة وسداس مقام ست لأنه أراد أليلتنا هذه واحدة أم واحدة في ست والموضع الثاني أنه عدل بلفظة ست إلى سداس وهو مردود عند اكثر أهل اللغة والموضع الثالث أنه صغر ليلة على لييلة والمسموع في تصغيرها لييلة والرابع أنه ناقض كلامه لأنه كنى بتصغير الليلة عن قصرها ثم عقب تصغيرها بان وصفها في الامتداد إلى التناد -ويقولون لما يتعجل من الزروع والثمار هرف - وهي من ألفاظ الأنباط ومفاضح الأغلاط والصواب أن يقال فيه بكر لأن العرب تقول لكل ما يتقدم على وقته بكر فيقولون بكر الحر وبكر البرد وبكرت النخلة إذا أثمرت أول ما تثمر النخل فهي بكور والثمرة المتعجلة باكورة ويقولون أيضا في كل شئ يحف فيه فاعله ويعجل إليه قد بكر إليه ولو أنه فعل ذلك آخر النهار أو في أثناء الليل والصواب أن يقال عجل وقد يستعمل بكر بمعنى عجل يدل عليه قول ضمرة بن ضمرة النهشلي

بكرت تلومك بعد وهن في الدجى بسل عليك ملامتي وعتابي

أراد بقوله بكرت تلومك أي عجلت لا أنه أراد به وقت البكرة لا فصاحة بأنها لامته في الليل ونظير استعمالهم لفظة بكر بمعنى عجل استعمالهم لفظة راح بمعنى سارع وخف ومنه

قوله صلى الله عليه وسلم "من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة " أيمن خف إليها إذ لا يجوز إتيانها آخر النهار -ويقولون عند الحرقة ولذع الحرارة الممضة أخ بالخاء المعجمة من فوق - والعرب تنطق بهذه اللفظة بالحاء المغفلة وعليه فسر قول عبد الشارق الجهني

فباتوا بالصعيد لهم احـاح ولو خفت لنا الكلمي سرينا

أي بادت الكلمي يقولون اح مما ودوا من حرق الجراحات وحر الكلوم وحكي أن الحجاج لما نازله شبيب الخارجي ابرز إليه في بعض أيام محاربته غلاما له فألبسه سلاحه المعروف به واركبه فرسه الذي لم يكن يقاتل إلا عليه فلما رآه شبيب غمس نفسه في الحرب إلى أن خلص إليه فضربه بعمود كان في يده وهو يظنه الحجاج فلما أحس الغلام حرارة الضربة قال أخ بالخاء المعجمة فعلم شبيب بهذه اللفظة منه انه عبد فأثنى عنه وقال قبحك الله يا ابن أم الحجاج أتتقي الموت بالعبيد قال الشيخ الرئيس أبو محمد رحمه الله ومن العرب من يقول في هذا المعنى حس كما جاء في بعض الأخبار أن طلحة رضي الله عنه لما أصيبت إصبعه يوم أحد قال حس فلما بلغت كلمته النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا أن طلحة قال حس لطار مع الملائكة ومن كلامهم ضرب فلان فما قال حس ولا بس ومنهم من ينونهما فأما قولهم جئ به من حسك وبسك فالمراد به من رفقك وصعوبتك لان الحس الاستقصاء والبس الرفق في الحلب - ويقولون من التأوه أوه والأفصح أن يقال أوه بكسر الهاء وضمها وفتحها والكسر أغلب وعليه قول الشاعر

فأوه لذكرها إذا ما ذكرتهـا ومن بعد أرض بيننا وسماء

وقد قلب بعضهم الواو ألفا فقال آه وشدد بعضهم الواو واسكن الهاء فقال أوه وفيهم من حذف الهاء وكسر الواو فقال أو وقال آخرون آواه بالمد وغيره وتصريف الفعل منها أوه وتأوه المصدر الآهة والآهة ومنه قول المثقب العبدي

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

وفسر بعضهم الاواه بأنه الذي يتأوه من الذنوب وقيل هو المتضرع في الدعاء وقيل انه المؤمن الموقن - ويقولون لقيته لقاة واحدة - فيخطئون فيه لأن العرب تقول لقيته لقية ولقاءة ولقيانة اذا ارادوا به المرة الواحدة فإن ارادوا المصدر قالوا لقيته لقاء ولقيا ولقيانا ولقي على وزن هدى وعليه أنشد الكسائي

وأن لقاها في المنام وغيره وان لم تجد بالبذل لرابـح

وأنشد بعض شيوخنا رحمهم الله لبعض العرب في الشيب

ولولا اتقاء الله ما قلت مرحبـا لأول شبيبات طلعـن ولا أهـلا
وقد زعموا حلما لقـاك ولـم أرد بحمد الذي أعطاك حلما ولا عقلا

-ويقولون فلان يكدف - بمعنى يستقل ما أعطى والصواب أن يجدف بالجيم لأن التجديف في اللغة هو استقلال النعمة وسترها وبه فسر لا تجدفوا بنعم الله تعالى ويماثل هذه اللفظة في إبدال جيمها كافا كقولهم لمن يكثر السؤال مكد وأصله مجد لاشتقاقه من الاجتداء وكان الأصل في المجد المجتدي فأغمت التاء في الدال ثم ألقيت حركة الحرف المدغم على ما قبله كما فعل ذلك من قرأ أمن لا يهدي إلا أن يهدي والأصل فيه يهتدي - ويقولون بالرجل عنة -ولا وجه لذلك لأن العنة الحظيرة من الخشب والصواب أن يقال به عنينة أو تعنين وأصله من عنّ أي اعترض فكأنه يتعرض للنكاح ولا يقدر عليه والعرب تسمي العنين السريس كما قال الشاعر

ألا حييت عـنـا يا لـمـيس علانية فقد بلغ الـنـسـيس
رعيت إليك كيما تنكحـينـي فقلت بأنه رجـل سـريس
ولو جربتني فـي ذاك يومـا رضيت وقلت أنت الدردبيس

-ويقولون لمن يقتبس من الصحف صحفيّ - مقايسة على قولهم في النسب إلى الأنصار أنصاري وإلى الأعراب أعرابي والصواب عند النحويين البصريين أن يوقع النسب إلى واحدة وهي الصحف صحيفة فيقال صحفيّ كما يقال في النسب إلى حنفية حنفيّ لأنهم لا يرون النسب إلا إلى واحد المجموع كما يقال في النسب إلى الفرائض فرضيّ وإلى المقاريض مقراضيّ اللهم إلا أن يجعل الجمع اسما علما للمنسوب إليه فيوقع حينئذ النسب إلى صيغته كقولهم في النسب إلى قبيلة هوزان هوزاني وإلى حي كلاب كلابي وإلى مدينة الأنبار أنباري وإلى بلدة المدائن مدائني فأما قولهم في النسب إلى الأنصار أنصاري فإنه شذ عن أصله والشاذ لا يقاس عليه ولا يعتد به وأما قولهم في النسب إلى الأعراب أعرابي فإنهم فعلوا ذلك لإزالة اللبس ونفي الشبهة إذ قالوا فيه عربي لأشبه المنسوب إلى العرب وبين المنسوبين فرق ظاهر لأن العربي هو المنسوب إلى العرب وإن تكلم بلغة العجم والأعرابي هو النازل بالبادية وإن كان عجمي النسب -ويقولون في النسب أيضا إلى رامهرمز رامهرمزي - فينسبونه إلى مجموع الاسمين المركبين ووجه الكلام أن ينسب إلى الصدر منهما فيقال رامي لأن الاسم الثاني من الاسمين المركبين يتنزل منزلة تاء التأنيث التي تقع طارفة وتلتحق بعد تمام الكلام فوجب لذلك أن يسقط في النسب كما تسقط تاء التأنيث فيه وعلى هذه القضية قيل في النسب إلى آذربيجان آذري كما جاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه قال لتألمن النوم على الصوف الآذري كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان وقد رواه بعضهم الأذربي والصحيح الأول وأجاز أبو حاتم السجستاني أن ينسب إلى الاسمين جميعا واحتج فيه بقول الشاعر

تزوجـتـهـا رامـية هـرمـزية بفضل الذي أعطى الأمير من الودق

ولم يطابقه على هذا القول غيره بل منع سائر النحويين منه لئلا تجتمع علامتا النسب في الاسم المنسوب وحملوا البيت الذي احتج به على الشذوذ واعتراض الشاذ لا ينقص مباني الأصول نعم عندهم أنه متى وقع لبس في النسب إلى الاسم المركب لم ينسب إليه ولهذه العلة منعوا من النسب إلى أحد عشر ونظائره إذ لا يجوز النسب إلى مجموع الاسمين أحد عشريّ كما تقول العامة في النسب إلى الثوب الذي طوله أحد عشر شبرا ولا يجوز أن ينسب إلىأوله لاشتباهه إلى أحدولا إلى الثاني لاشتباهه بالنسب إلى عشر فامتنع النسب إليه من كل وجه ونظير هذا الوهم منهم انهم ينسبون إلى مجموع الاسمين المضافين فيقولون في النسب إلى تاج الملك ونظائره التاجملكي وقياس كلام العرب أن ينسب إلى الأول منهما فيقال التاجي كما قالوا في النسب إلى تميم اللات تميمي وإلى سعد العشير سعدي اللهم إلا أن يعترض لبس في المنسوب فينسب إلى الثاني كما قالوا في النسب إلى عبد مناف منافي ولم يقولوا عبد لئلا يلتبس بالمنسوب إلى عبد قيس وقالوا في النسب إلى أبي بكر بكري لأنهم لو قالوا أبوي لاستبهم المنسوب إليه وقد سلكوا في هذا النوع أسلوبا آخر فركبوا من حروف الاسمين اسما على وزن جعفر ونسبوا إليه وأكثر ما استعملوا ذلك فيما أوله عبد فقالوا في النسب إلى عبد شمس عبشمي وإلى عبد الدار عبدري وإلى عبد القيس عبقسي وكل ذلك مما يقتصر على السماع ولم يقصد به إلا الرياضة في تصريف الكلام - ويقولون لما يغسل به الرأس غسلة بفتح الغين - فيخطئون فيه لأن الغسلة بالفتح كناية عن المرة الواحدة من الغسل فأما الغسول فهو الغسلة بكسر الغين وعليه قول علقمة ابن عبدة

كأن غسلة خطميّ بمشفـرهـا في الخد منها وفي اللحيين تلقيم

وأما الغسل فمصدر غسلت والاسم منه الغسل بضم الغين وأما الغسلين فهو ما يسيل من صديد أهل النار وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كل ما كان في القرآن قد علمته إلا أربعة أحرف لا أدري ما الأواه والحنان مخففة والغسلين والرقيم وقد فسرها غيره فقال الحنان الكثير الرحمة ومنه قولهم حنانيك أي رحمة منك بعد رحمة وقالوا الأواه الكثير التأوه من الذنوب وقيل أنه المتضرع في الدعاء وقيل فيه أنه المؤمن

الموقن وفسر الغسلين على ما بيناه وقيل في الرقيم أنه القرية التي خرج منها أهل الكهف وقيل بل هو اسم الكلب وقيل بل هو الوادي الذي فيه أهل الكهف وذكر القراء أنه لوح من رصاص كتب فيه أسماؤهم وأنسابهم

ويقولون دابة لا تردف - ووجه القول لا ترادف أي لا تقبل المرادفة لأن مبنى المفاعلة على الاشتراك في الفعل فهو بهذا الكلام أليق بالمعنى المراد والعرب تقول ترادفت الأشياء إذا تتابعت وأهل المعرفة بالقوافي يسمون الشعر الذي تتوالى الحركة في قافيته المترادف ويقال ردفت زيدا أي ركبت خلفه وأردفته أي أركبته ورائي وإنما سمي الردف ردفا لمجاورته الردف وهو العجز ويقال أيضا جمل مرادف أي عليه رديف وقرئ في التنزيل بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها فمن كسر أراد به متتالين في العدد ومن فتحها أراد انهم أردفوا بغيرهم من المدد

ويقولون مطرد ومبرد ومبضع ومنجل

كما يقولون مقرعة ومقنعة ومنطقة ومطرقة فيفتحون الميم من جميع هذه الأسماء - وهو من أقبح الأوهام وأشنع معايب الكلام لأن كل ما جاء على مفعل ومفعلة من الآلات المستعملة المتداولة فهو بكسر الميم كالأسماء المذكورة ونظائرها وعليه قول الفرزدق في مرثية سايس

ليبك أبا الخنساء بغل وبـغـلة ومخلاة سوء قد أضيع شعيرها

ومجرفة مطروحة ومـحـسة ومقرعة صفراء بال سيورها

وإنما كسر الميم من محسة لأن الأصل فيها محسسة فادغم أحد الحرفين المتماثلين في الآخر وشدده والمشدد يقوم مقام حرفين كما فعل في نظائرها مثل محفة ومخدة ومظلة ومسلة ومن وهمهم أيضا في هذا النوع قولهم لما يروح به مروحة بفتح الميم والصواب كسرها وأخبرني أبو القاسم الحسين بن محمد التميمي المعروف بالباقلاوي قراءة عليه قال أخبرنا أبو عمرو الهزاني عن عمه أبي روق عن الرياشي عن الأصمعي قال قال أبو عمرو بن العلاء بلغنا أن عمر رضي الله عنه كان ينشد في طريق مكة

كأن راكبها غصن بمروحة إذا تدلت به أو شارب ثمل

ثم قال لنا أبو عمرو المروحة بفتح الميم الموضع الكثير الريح وبالكسر ما يتروح به وهذا الذي أصله أهل اللغة من كسر الميم في أوائل أسماء الآلات المتناقلة المصنوعة على مفعل ومفعلة هو عندهم كالقضية الملتزمة والسنة المحكمة إلا انهم أشذوا أحرفا يسيرة منهم ففتحوا الميم من منقبة البيطار وضموها من مدهن ومسعط ومنخل ومنصل ومكحل ومدق وقيل في مدق بالكسر على الأصل ونطقوا في مسقاة ومرقاة ومطهرة بالكسر قياسا على الأصل وبالفتح لكونها مما لا يتناقل باليد - ويقولون اعمل بحسب ذلك بإسكان السين- والصواب فتحها لتطابق معنى الكلام لأن الحسب بفتح السين هو الشيء المحسوب المماثل معنى المثل والقدر وهو المقصود في هذا الكلام فأما الحسب بإسكان السين فهو الكفاية ومنه قوله تعالى عطاء حسابا أي كافيا وليس المقصود به هذا المعنى وإنما اعمل على قدر ذلك ويناسب هاتين اللفظتين في اختلاف معنييهما باختلاف هيئة أوسطهما قولهم الغبن والغبن والميل والميل والوسط والوسط والقبض والقبض والخلف والخلف وبين كل لفظتين من هذه الألفاظ المتجانسة فرق يمتاز معناهما فيه بحسب إسكان وسطها وفتحه فالغبن بإسكان الباء يكون في المال وبالفتح يقع في العقل

والرأي والميل بإسكان الياء من القلب واللسان وبفتحها يقع فيما يدركه العيان والوسط بالسكون ظرف مكان يحل محل لفظة بين وبه يعتبر والوسط بفتح السين اسم يتعاقب عليه الأعراب لكل واسطة من جميع الأشياء ولهذا مثل النحويون فقالوا يقال وسط رأسه دهن ووسط رأسه صلب والقبض بإسكان الباء مصدر قبض وبفتحها اسم الشيء المقبوض وأما الخلف فعند أكثر أهل اللغة يكون بإسكان اللام من الطالحين وأنشدت لأبي القاسم الآمدي في مرثية غرة خلف عرة

خلفت خلفا ولم تدع خلفـا ليت بهم كان لا بك التلف

وقيل فيهما أنهما يتداخلان في المعنى ويشتركان في صفة المدح والذم فيقال خلف صدق وخلف سوء وخلف صدق وخلف سوء والشاهد عليه قول المغيرة ابن حنباء التميمي

فنعم الخلف كان أبوك فـينـا وبئس الخلف خلف أبيك خلفا

وقال بعضهم إن الخلف بفتح اللام من تخلف في أثر من مضى والخلف بالإسكان اسم لكل قرن مستخلف وعليه فسر قوله تعالى "فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة" وعليه يؤول قول لبيد

وبقيت في خلف كجلد الأجرب - يعني به القرن الذي عاصره آخر عمره وحكى أبو كبر بن دريد قال سمعت الرياشي يفصل بين قولهم أصابه سهم غرب بفتح الراء وغرب بالإسكان وقال المعنى في الفتح انه لم يدر من رماه وفي الإسكان أنه رمى غيره فأصابه ولم يميز بين معنى اللفظتين سواه - ويقولون قد كثرت عيلة فلان - إشارة إلى عياله فيخطئون فيه لأن العيلة هي الفقر بدليل قوله تعالى" وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وتصريف الفعل منها عال يعيل فهو عائل والجمع عالة وجاء في التنزيل "ووجدك عائلا فأغنى " وفي الحديث " لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس فأما الذين يعالون فهم عيال واحدهم عيل كما أن واحد جياد جيد وقد جمع عيال على عيايل كما قيل ركاب وركائب ويقال لمن كثر عياله أعال فهو معيل ولمن يمولهم وقد عالهم يعولهم ومنه الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وفي كلام بعض العرب والله لقد علت حتى علت أي منت عيالي حتى افتقرت وقد يقال عال يعول إذا جار وأما قوله تعالى ذلك أدنى ألا تعولوا فمعناه ذلك أدنى ألا تجوروا ومنه قول بعض العرب لحاكم حكم عليه بما لم يوافقه والله لقد علت عليّ في الحكم ومن ذهب في تفسير الآية إلى أن معنى تعولوا يكثر من تعولون فقد وهم فيه وأما قوله صلى الله عليه وسلم " وإن من القول عيالا " فمعناه أن من الحديث ما يستقل السامع أن يعرض عليه ويستشق الانصات إليه - ويقولون فلان في رفهة - والمسموع عن العرب في رفاهة ورفاهية كما قالوا طماعة وطماعية وكراهة وكراهية وقد قيل فيها رفهنية كما قالوا بلهنية واشتقاق لفظ الرفاهية من الرفه وهو أن تورد الإبل كل ما شاءت كل يوم فكأنهم قصدوا بها التوسع فأما الرفهة فهي أصل لفظة الرفه التي هي دقاق التبن في لغة من قالها بتخفيف الفاء فهي تجري مجرى شفة التي أصلها شفهة وقد حذفت إحدى الهائين منها بدليل تصغيرها على شفيهة ويقال في المثل فلان أغنى عن فلان من التفة عن الرفة والمراد بالتفة عناق الأرض لأنها تقتات اللحم وتستغني عن دقاق التبن وقد شدد بعضهم الفاء من التفه وجعل أصلها التففه ثم أدغم إحدى الفائين في الأخرى كما يفعل ذلك في الحرفين المتماثلين الواقعين في الأسماء المضعفة - ويقولون لرضيع الإنسان قد ارتضع بلبنه - وصوابه ارتضع بلبانه لأن اللبن هو المشروب واللبان هو مصدر لابنه أي شاركه في شرب اللبن وهذا هو معنى كلامهم الذي نحوا إليه ولفظوا به واليه أشار الأعشى في قوله في صفة النار

تشب لمقرورين يصطليانـهـا وبات على النار الندى والمحلق

رضيعي لبان ثدي أم تقاسـمـا باسحم داج عوض لا نتفـرق

يعني أن المحلق الممدوح والندى ارتضعا ثدي أم وتحالفا على أنهما لا يتفرقان أبدا لأن عوض من أسماء الدهر وهو مما بني على الضم والفتح وعنى بالأسحم الداجي ظلمة الرحم المشار إليها في قوله تعالى

"يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث وقيل بل عنى به الليل وعلى كلا هذين التفسيرين فمعنى تقاسما فيهما أي تحالفا وقد قيل أن المراد بلفظة تقاسما اقتسما وأن المراد بالأسحم الداجي الدم وقيل بل المراد بالأسحم اللبن لاعتراض السمرة فيه وبالداجي الدائم وحكى ابن نصر الكاتب في كتاب المفاوضة قال دخل علي أبي العباس ابن ماسرجس رجل نصراني ومعه فتى من أهل ملته حسن الوجه فقال له أبو العباس من هذا الفتى قال بعض إخواني فأنشد أبو العباس

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضع لها بلـبـان
دعتني أخاها بعدما كان بينـنـا من الأمر ما لا يصنع الإخوان

-ويقولون لدغته العقرب - والاختيار أن يقال لكل ما يضرب بمؤخره كالزنبور والعقرب لسع ولما يقبض بأسنانه كالكلب والسباع نهش ولما يضرب بفيه كالحية لدغ ومنه قول بعض الرجاز

إن العجوز حين شاب صدغها كالحية الصماء طال لدغهـا

-ويقولون الحمد لله الذي كان كذا وكذا - فيحذفون الضمير العائد إلى اسم الله تعالى الذي به يتم الكلام وتنعقد الجملة وتنتظم الفائدة والصواب أن يقال الحمد لله إذ كان كذا وكذا منه أو يقال الحمد لله الذي كان كذا وكذا بلطفه أو بعونه أو من فضله وما أشبه ذلك مما يتم الكلام المنثور ويربط الصلة بالموصول وفي نوادر النحويين أن رجلا قرع الباب على نحوي فقال من أنت قال الذي اشتريتم الآجر فقال له أمنه قال لا قال أله قال لا قال اذهب فما لك في صلة الذي شئ وقد شبه الصاحب أبو القاسم ابن عباد الرقيب والمحبوب بالذي وصلته فقال وأبدع

ومهفهف ذي وجنة كالجـنـبـذ وسهام لحظ كالسهـام الـنـفـذ
قد نلت منه مراد نفسي في الهوى وملكته لو لم يكن صـلة الـذي

-ويقولون فلان شحاث بالثاء المعجمة بثلاث من فوق - والصواب فيه شحاذ بالذال المعجمة لاشتقاق هذا الاسم من قولك شحذت السيف إذا بالغت في إحداده فكأن الشحاذ هو الملح في المسألة والمبالغ في طلب الصدقة - ويقولون لما خرج من الكرش الفرث فيوهمون فيه لأنه يسمى فرثا ما دام في الكرش بدليل قوله تعالى " من بين فرث ودم " فإذا لفظ منها سمى السرجين وفي أمثال العرب فيمن يحفظ الحقير ويضيع الجليل فلان يحفظ الفرث ويفسد الحرث -ويقولون جبة خلقة - فيوهمون فيه لأن العرب ساوت فيه بين نعت الذكر والمؤنث فقال ملحفة خلق كما قال ثوب خلق وبين بعضهم العلة فيه فقال كان أصل الكلام أعطني خلق جبتك فلما أفرد من الإضافة بقي على ما كان عليه وكذلك يقال جبتان خلقان ولا يقال خلقتان وأنشد ثعلب شاهدا عليه لأبي العالية

كفى حزنا إني تطاللت كي أرى ذرى قلتي دمخ فـمـا يريان

يقال تطاول إذا مد قامته وتطالل إذا مد عنقه مأخوذ من الطلل وهو الشخص

كأنهما والآل يجري عليهما من البعد عينا برقع خلقان

-ويقولون ثلاثة شهور وسبعة بحور - والاختيار أن يقال ثلاثة أشهر وسبعة أبحر ليتناسب نظم الكلام ويتطابق العدد والمعدود كما جاء في القرآن "فسيحوا في الأرض أربعة أشهر " وفيه أيضا "والبحر يمده من بعده سبعة أبحر" والعلة في هذا الاختيار أن العدد من الثلاثة إلى العشرة ووضع للقلة فكانت إضافته إلى مثال الجمع القليل المشاكل له أليق به وأشبه بالملائمة له وأمثلة الجمع القليل أربعة أفعال كما قال سبحانه " فصيام ثلاثة أيام " وأفعل كما جاء في التنزيل أيضا سبعة أبحر وأفعلة كقولك تسعة أحمرة وفعلة كقولك عشرة غلمة وهذا الاختيار في إضافة العدد إلى جمع القلة مطرد في هذا الباب اللهم إلا أن يكون المعدود مما لم يبين له جمع قلة فيضاف إلى ما صيغ له من الجمع على تقدير إضمار من البعضية فيه كقولك عندي ثلاثة دراهم وصليت في عشرة مساجد أي ثلاثة من دراهم وعشرة من مساجد ولسائل أن يعترض بقوله تعالى " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء فيقول كيف أضاف الثلاثة إلى قروء وهي جمع الكثرة ولم يضفها إلى الاقراء التي هي جمع القلة والجواب عنه أن المعنى في قوله تعالى " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء " أي ليتربص كل واحدة من المطلقات ثلاثة اقراء فلما أسند إلى جماعتهن ثلاثة والواجب على كل واحدة منهن ثلاثة أتى بلفظة قروء لتدل على الكثرة المرادة والمعنى الملموح - ويقولون للعليل هو معلول - فيخطئون فيه لأن المعلول هو الذي سقى العلل وهو الشرب الثاني والفعل منه عللته فأما المفعول من العلة فهو معل وقد أعله الله تعالى ونظيره قولهم أعطني على المقلول كذا وكذا يعنون بالمقلول القل أو القلة ولا وجه لهذا الكلام البتة لأن المقلول في اللغة هو الذي

ضربت قلته وهي أعلاه كما يكنى في المعاريض عمن ضربت ركبته بالمركوب وعمن قطع سرره بالمسرور وعمن قطع ذكره بالمذكور ومن الحاجي بأبيات المعاني

نسرهم إن هم أقـبـلـوا وإن أدبروا فهم من نسب

أي نطعنهم إذا أقبلوا في السرة وإذا أدبروا في السبة وهي الأست ومن هذا النوع قول الشاعر

ذكرت أبا عمرو فمات مكـانـه فيا عجبا هل يهلك المرء من ذكر
ووزرت علـيا بـعـده فـرأيتـه ففارق دنياه ومات على الصبـر

عنى بذكرت قطعت ذكره وبقوله رأيته قطعت رئته
ويقولون في مثله ما لي فيه منفوع ولا منفعة - فيغلطون فيه لأن المنفوع من أوصل إليه النفع والصواب أن يقال ما لي فيه نفع ولا منفعة فإن توهم متوهم أنه مما جاء على المصدر فقد وهم فيه لأنه لم يجئ من المصادر على وزن مفعول إلا أسماء قليلة وهي الميسور والمعسور بمعنى اليسر والعسر وقولهم ما له معقول ولا مجلود أي ليس له عقل ولا جلد وقولهم حلف محلوفا وقد ألحق به قوم المفتون واحتجوا بقوله تعالى " بأييكم المفتون " أي الفتون وقيل بل هو مفعول والباء زائدة وتقديره أيكم المفتون - ويقولون للمريض به سل - ووجه القول أن يقال به سلال بضم السين لأن معظم الأدواء جاء على وزن فعال نحو الزكام والصداع والفواق والسعال - ويقولون حلا الشيء في صدري وبعيني - فيخطئون فيه لأن العرب حلا في فمي وحلا في عيني وليس الثاني من نوع الأول بل هو من الحلي الملبوس فكان المعنى حسن في عيني كحسن الحلي الملبوس فهو من ذوات الياء والأول من ذوات الواو إلا أن المصدر منهما جميعا الحلاوة والاسم منهما حلو ولا يجوز أن يقال حال لأن الحالي هو الذي عليه الحلي وهو ضد العاطل -ويقولون في مجمع مرآة مرايا - فيوهمون فيه كما وهم بعض المحدثين حين قال

قلـت لـمـــا ســـتـــرت لحـيتـه بـعـض الـبـــلايا
فتــن زالـــت ولـــكـــن بقـيت مـنـهـا بـــقـــايا
فهـب الـلـحـية غـــطـــت منـه خـدا كـالـــمـــرايا
من لعينيه التي تقسم في الخلق المنايا

والصواب أن يقال فيها مراء على وزن مراع فأما مرايا فهي جمع ناقة مري وهي التي تلد إذا مري ضرعها وقد جمعت على أصلها الذي هو مرية وإنما حذفت الهاء منها عند إفرادها لكونها صفة لا يشاركها المذكر فيها
ويقولون لفم المزادة عزلة
وهي في كلام العرب عزلاء وجمعها عزالى ومنه قول الشاعر

سقاها من الوسمي كل مـجـلـجـل سكوب العزالى صادق البرق والرعد

فأما قول الأعرابي في خبر الاستسقاء

دقائق العزائل جم البـعـا ق أغاث به الله عليا مضر

فإنه جاء على القلب كما جاء في التنزيل على شفا جرف هار أي هائر فاخر القلب - ويقولون جاء القوم بأجمعهم - لتوهمهم أنه أجمع الذي يؤكد به في مثل قولهم هو لك أجمع والاختيار أن يقال جاء القوم أجمعهم بضم الميم أنه مجموع على جمع فكان على أفعل كما يقال فرخ وأفرخ وعبد وأعبد ويدل على ذلك أيضا إضافته إلى الضمير وإدخال حرف الجار عليه وأجمع الموضوع للتوكيد لا يضاف ولا يدخل عليه الجار بحال ونظير أجمع قولهم في المثل المضروب لمن كان في خصب ثم صار أمرع منه وقع الربيع إلى أربع يعني بأربع جمع ربيع - ويقولون لمن انقطعت حجته مقطع بفتح الطاء - والصواب أن يقال بكسرها لأن العرب تقول للمحجوج أقطع الرجل فهو مقطع وأما المقطع بفتح الطاء فيقع على العنين وعلة من أقطع قطيعة وعلى المحروم دون نظرائه ويقال رجل مقطوع به إذا قطع عليه الطريق ومنقطع به إذا عجز

عن السفر وحكى المدائني قال دخلت على صديق لي وعنده رجل فقلت من هذا فقال منقطع إليّ وأنا منقطع به ونظير تحريفهم في المقطع قولهم جاؤا كالجراد المشعل بكسر العين ومعنى المشعل المنتشر ومنه قولهم كتيبة مشعلة أي متفرقة الحريق وإلى هذا ذهب جرير بقوله فيما يهجو به الأخطل

أفبالصليب ومارجس تبتغـي شهباء ذات مناكب جمهورا
عاينت مشعلة الرعال كأنهـا طير يحاول في شمام وكورا

-يقولون كلمت فلانا فاختلط - أي اختل رأيه وثار غضبه فيحرفون فيه لأن وجه القول فاحتلط بالحاء المغفلة لاشتقاقه من الاحتلاط وهو الغضب ومنه المثل المضروب أول العي الاحتلاط وأسوأ القول الإفراط - ويقولون في الكناية عن العربيّ والعجميّ الأسود والأبيض - والعرب تقول فيهما الأسود والأحمر تعني العرب والعجم لأن الغالب على ألوان العرب الأدمة والسمرة والغالب على ألوان العجم البياض والحمرة والعرب تسمي البيضاء حمراء كما تسمي السوداء خضراء وفي الأخبار المأثورة أنه عليه السلام كان يسمي عائشة رضي الله عنها الحميراء وأما قولهم الحسن أحمر فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه الجمال إلا بتحمل مشقة يحمار منها الوجه كما قالوا للسنة المجدية حمراء وكنوا عن الأمر المستصعب بالموت الأحمر وأما قول الشاعر

هجان عليها حمرة في بياضهـا تروق به العينين والحسن أحمر

فإنه عنى به أن الحسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من الألوان - ويقولون للمعرس قد بنى بأهله - ووجه الكلام بنى على أهله والأصل فيه أن الرجل كان إذا أراد أن يدخل على عرسه بنى عليها قبة فقيل لكل من عرس بان وعليه فسر أكثرهم قول الشاعر

ألا يا من لذا البرق اليماني يلوح كأنه مصباح بـان

وقالوا أنه شبه لمعان البرق بمصباح الباني على أهله لأنه لا يطفأ تلك الليلة على أن بعضهم عنى بالبان الضرب من الشجر فشبه سنا برقه بضياء المصباح المتقد بدهنه ويجانس هذا الوهم قولهم للجالس بفناء بابه جلس على بابه والصواب فيه أن يقال جلس ببابه لئلا يتوهم السامع أن المراد به استعلى على الباب وجلس فوقه قال الشيخ الرئيس أبو محمد رحمه الله وقد أذكرني ما أوردته نادرة تليق بهذا الموطن حكاها لي الشريف أبو الحسن النسابة المعروف بالصوفي رحمه الله قال اجتاز البستي بابن البواب وهو جالس على عتبة بابه فقال أظن الأستاذ يقصد حفظ النسب بالجلوس على العتب ومما يوهمون فيه أيضا قولهم خرج عليه خراج ووجه القول أن يقال خرج به وكذلك يقولون رميت بالقوس والصواب أن يقال رميت عن القوس أو على القوس كما قال الراجز

ارمي عليها وهي فرع أجمع وهي ثلاث أذرع وإصبـع

فإن قيل هلا أجزتم أن تكون الباء في هذا الموطن قائمة مقام عن أو على كما جاءت بمعنى عن في قوله سبحانه وتعالى "سأل سائل بعذاب واقع " وبمعنى على في قوله تعالى " وقال اركبوا باسم الله مجراها ومرساها " فالجواب عنه أن إقامة بعض حروف الجر مقام بعض إنما جوز في المواطن التي ينتفي فيها اللبس ولا يستحيل المعنى الذي صيغ له اللفظ ولو قيل ههنا رمى بالقوس لدل ظاهر الكلام على انه نبذها من يده وهو ضد المراد بلفظه فلهذا لم يجز التأول للباء فيه - ويقولون حتى - فيميلونها مقايسة على إمالة متى فيخطئون فيه لأن متى اسم وحتى حرف وحكم الحروف أن لا تمال كما لم يميلوا إلا وأما ولكن وعلى ونظائرها ولم يشذ من هذا الأصل إلا ثلاثة أحرف أمليت لعلل فيها وهي يا وبلى ولا في قولهم افعل هذا أما لا والعلة في يا أنها نابت عن الفعل الذي هو أنادي وفي بلى أنها قامت بنفسها واستقلت بذاتها وفي أما لا أن هذه الكلمة على الحقيقة ثلاثة أحرف وهي أن وما ولا جعلت كالشيء الواحد وصارت الألف في آخرها شبيهة بألف حبارى فأميلت كإمالتها ومعنى قولهم افعل هذا اما لا أي أن لا تفعل كذا فافعل كذا ومن وهمهم أيضا في الإمالة أنهم يقولون هذه بكسر الهاء الأولى والأفصح أن تفخم الهاء لا تمال وحكي أن أعرابية سمعت بنياً لها يقول هذه الناقة فزجرته وقالت له أتقول هذه ألا قلت هذه -

ويقولون قتله شر قتلة بفتح القاف - والصواب كسرها لأن المراد به الإخبار عن هيئة القتلة التي صيغ مثالها على فعلة بكسر الفاء كقولك ركب ركبة أنيقة وقعد قعدة ركينة ومنه المثل المضروب في الحاذق أن العوان لا تعلم الخمرة من الاختمار ومن شواهد حكمة العرب في تصريف كلامها أنها جعلت فعلة بفتح التاء كناية عن المرة الواحدة وبكسرها كناية عن المرة الواحدة وبكسرها كناية عن الهيئة وبضمتها كناية عن القلة لتدل كل صيغة على معنى يختص به ويمتنع من المشاركة فيه وقرئ إلا من اغترف غرفة بيده بفتح الغين وضمها فمن قرأها بالفتح أراد بها المرة الواحدة فيكون قد حذف المفعول به الذي تقديره إلا من اغترف ماء مرة واحدة ومن قرأها بالضم أراد بها مقدار ملء الراحة من الماء - ويقولون هذا واحد اثنان ثلاثة أربعة - فيعربون أسماء الأعداد المرسلة والصواب أن تبنى على السكون في حالة العدد فيقال واحد بسكون الدال وكذلك اثنان ثلاثة أربعة وكذلك حكم نظائره اللهم إلا أن توصف أو يعطف بعضها على بعض فتعرب حينئذ بالوصف كقولك تسعة أكثر من ثمانية وثلاثة نصف ستة والعطف كقولك واحد واثنان وثلاثة وأربعة لأنها بالصفة وبالعطف صارت متمكنة فاستحقت الإعراب وعلى هذا الحكم تجري أسماء حروف الهجاء فتبنى على السكون إذا تليت مقطعة ولم يخبر عنها كما قال تعالى كهيعص وحم عسق وتعرب إذا عطف بعضها على بعض كما حكى الأصمعي قال أنشدني عيسى بن عمر بيتا هجا به النحويين قال

إذا اجتمعوا على ألف وباء وتاء هاج بينهم قـتـال

فإن عورض ذلك بفتح الميم من قوله تعالى في مفتتح سورة آل عمران "آلم الله لا إله إلا هو" فالجواب عنه أن أصل الميم السكون وإنما فتحت لالتقاء الساكنين وهما الميم واللام من اسم الله تعالى وكان القياس أن تكسر على ما يوجبه لالتقاء الساكنين إلا أنهم كرهوا الكسر لئلا يجتمع في الكلمة كسرتان بينهما ياء هي أصل الكسرة فتثقل الكلمة فلذلك عدل إلى الفتحة التي هي أخف كما بنى لهذه العلة كيف وأين على الفتح - ويقولون ما أحسن لبس الفرس - إشارة إلى تجفافه فيضمون اللام من لبس والصواب كسرها كما يقال لكسوة البيت لبس ولغشاء الهودج لبس ومنه قول حميد بن ثور

فلما كشفنا اللبس عنه مسحـنـه بأطراف طفل زان غيلا مؤشما

-ويقولون مائة ونيف بإسكان الباء - والصواب أن يقال نيف بتشديدها وهو مشتق من قولهم أناف ينيف على الشيء الذي إذا أشرفت عليه فكأنه لما زاد على المائة صار بمثابة المشرف عليها ومنه قول الشاعر

حللت برابية رأسها على كل رابية نيف

وقد اختلف في مقدار النيف فذكر أبو زيد أنه ما بين العقدين وقال غيره هو من الواحد إلى الثلاثة فأما البضع فأكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر وقيل بل هو ما دون نصف العقد وقد أثر القول الأول إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى " وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين " وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وكان المشركون يميلون إلى فارس لأنهم أهل أوثان فلما بشر الله تعالى المسلمين بأن الروم سيغلبون في بضع سنين سر المسلمون بذلك حتى أن أبا بكر رضي الله عنه بادر إلى مشركي قريش فأخبرهم بما نزل عليهم فيه فقال له أبيّ بن خلف خاطرني على ذلك فخاطره على خمس قلائص وقدر لهم مدة ثلاث سنين ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله كم البضع فقال ما بين الثلاثة إلى العشرة فأخبره بما خاطر فيه أبيّ بن خلف فقال ما حملك على تقريب المدة قال الثقة بالله ورسوله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إليهم فزدهم في الخطر وازدد في الأجل فزادهم قلوصين وازداد منهم في الأجل سنتين فأظفر الله تعالى الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقا لتقدير أبي بكر رضي الله عنه -ويقولون لمن يصغر عن فعل الشيء هو يصبو عنه والصواب أن يقال هو

يصبأ عنه

لأن العرب تقول صبا من اللهو يصبو صبوا والفعلة منه صبوة وصبى من فعل الصبى يصبى صبى بكسر الصاد والقصر وصباء بفتحها والمد والفعلة منه صبية ومنه قول الراجز

أصبحت لا يحمل بعضي بعضا كأنما كان صبـائي قـرضـا

فالفعل الأول من الواو والثاني من الياء ومثله قولهم للمعرض عنك هو يلهو عن شغلي ووجه الكلام يلهي لأن العرب تقول لها يلهو من اللهو ولهى عن الشيء يلهى إذا شغل عنه ومنه الحديث "إذا استأثر الله بشيء فالهَ عنه " وجاء في الأثر أيضاً إذا وجدت البلل بعد الوضوء فالهَ عنه أي أعرض عنه - ويقولون فعلته مجراك - فيحيلونه في بنيته ويحرفونه عن صيغته لأن كلام العرب فعلته من جرّاك وفي الحديث أن امرأة دخلت النار من جرّا هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ومعنى قولهم فعلته من جرّاك أي من جريرتك كما أن معنى قولهم من أجلك أي من كسبك وجنايتك وعليه فسر قوله تعالى "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل" والعرب تقول فعلته من أجلك بفتح الهمزة وكسرها وفعلته من جللك وجرّاك وجرائك بالقصر والمد وأنشد اللحياني شاهدا على هاتين اللغتين فيه

أمن جرّا بني أسد غضبتم ولو شئتم لكان لكم جوار
ومن جرائنا صرتم عبيدا لقوم بعدما وطئ الخبار

ويقولون للرجل المضيع لأمره المتعرض لاستدراكه بعد فوته الصيف ضيعت اللبن بفتح التاء - والصواب أن يخاطب بكسرها وإن كان مذكرا لأنه مثل والأمثال تحكى على أصل صيغتها وأولية وضعها وهذا المثل وضع في الابتداء بكسر التاء لمخاطبة المؤنث به وأصله أن عمرو بن عمرو ابن عديّ كان تزوج ابنة عم أبيه دخنوس بنت لقيط بن زرارة بعدما أسنّ وكان أكثر قومه مالا فكرهته ولم تزل تسأله الطلاق حتى طلقها فتزوجها عمير بن معبد بن زرارة وكان شابا مملقا فمرت بها ذات يوم إبل عمرو وكانت في ضر فقالت لخادمتها قولي له ليسقينا من اللبن فلما أبلغته قال لها قولي لها الصيف ضيعت اللبن فلما أدت جوابه إليها ضربت يدها على كتف زوجها وقالت هذا ومذقه خير وإنما خص الصيف بالذكر لأنها كانت سألته الطلاق فيه فكأنها يومئذ ضيعت اللبن وينخرط في هذا السلك ما أنشدته في أبيات المعاني

قالت له وهو بعيش ضنـك لا تكثري لومي وخلي عنك

ومعناه أن هذا الرجل المخاطب كان يبذر في ماله فإذا عذلته زوجته على إسرافه قال لها لا تكثري لومي وخلي عنك فلما نفد ماله وساءت حاله قالت له أما تذكر عند نصحي لك لا تكثري لومي وخلي عنك وقصدت أن تندمه على إضاعة ماله وتبين له فيالة رأيه ومن أوهامهم في هذا الفن أنهم ينشدون بيت ذي الرمة

سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا

فينصبون لفظة الناس على المفعول ولا يجوز ذلك لأن النصب يجعل الانتجاع مما يسمع وما هو كذلك وإنما الصواب أن ينشد بالرفع على وجه الحكاية لأن ذا الرمة سمع قوما يقولون " الناس ينتجعون غيثا " فحكى ما سمع على وجه اللفظ المنطوق به وفسر بعضهم قوله تعالى " وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم " انه على الحكاية وان المراد به أن يقال له في الآخرين سلام على إبراهيم وتشهد الآية باتفاق كافة أهل الملل على الإيمان بنبوته والتسليم عليه عند موته وذكر أبو الفتح عثمان بن جنى قال أنشدني شيخنا أبو عليّ الفارسي قول الشاعر

تنادوا بالرحيل غـدا وفي ترحالهم نفسي

فأجاز بالرحيل ثلاثة أوجه الجر بالباء والرفع والنصب على الحكاية فحكاية الرفع كأنهم قالوا الرحيل غدا وحكاية النصب على تقدير قولهم اجعلوا الرحيل غدا - ويقولون طرده السلطان - ووجه الكلام اطرده لأن معنى طرده أبعده بيده أو بآلة في كفه كما يقال طردت الذباب عن الشراب وما المقصود هذا المعنى بل المراد به أن السلطان أمر بإخراجه عن البلد والعرب تقول في مثله اطرده كما تقول أطرد فلان ابله أي أمر بطردها والطرد بتسكين الراء المصدر وبالفتح مطاردة الصيد الطريدة هي الصيد - ويقولون لما ينبت من الزرع بالمطر نجس - فيلفظون بما تلفظ به العجم ولا تعرفه العرب ووجه القول أن يقال فيه طعام عذيّ كما يقولون أرض عذاة وعذبة إذا كانت لينة تكتفي بماء المطر -ويقولون هاون وراوق - فيوهمون

فيهما إذ ليس في كلام العرب فاعل والعين منه واو والصواب أن يقال فيهما هاوون وراووق لينتظما فيما جاء على فاعول مثل قارون وفاروق وماعون وعليه قول زيد بن عدي العباديّ

ودعوا بـالصبوح يوما فجـاءت قينة فـي يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الديك صفى
سلافها الراووق

ولهذه القطعة حكاية تنشر مآثر الأجواد وترغب المتأدب في الازدياد وهي ما حكى حماد الراوية قال كنت منقطعا إلى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يجفوني لذلك في أيامه فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرا فلما لم أسمع أحدا يذكرني في السنة أمنت وخرجت فصليت الجمعة في الرصافة فإذا شرطيان قد وقفا عليّ فقالا يا حماد اجب الأمير يوسف بن عمر فقلت في نفسي من هذا كنت أخاف فقلت هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبدا ثم أصير معكما إليه فقالا ما إلى ذلك من سبيل فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر فسلمت عليه فرد عليّ السلام ورمى إليّ كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير تروع ولا تنعنع وادفع إليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول فجعلت رجلي في الغرز وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت دمشق ونزلت على باب هشام فاستأذنت فأذن لي فدخلت عليه في دار قورآء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب من ذهب وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلمت فرد علي السلام واستدناني فدنوت إليه حتى قبلت رجله فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط في أذني كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان فقال لي كيف أنت يا حماد وكيف حالك قلت يا أمير المؤمنين فقال أتدري فيم بعثت إليك قلت لا قال بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قائله قلت وما هو فقال

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة في يمينـها إبـريق

فقلت يقوله عدي بن زيد في قصيدة له، فقال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي
أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم
موهوق
لست أدري إذ أكثروا العذل فيها أعـــدوا يلـــومـــنـــي أم صـــديق

قال وانتهيت فيها إلى قوله

ودعـوا بـالـصـبـوح يومـا فـــجـــاءت قينة فـــي يمـــيـنـــهـــا إبـــريق
قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافها
الراووق
مرة قبل مزجها فإذا ما مزجـت لـذ طـعـمـــهـــا مـــن يذوق
وطـفـا فوقها فـقـاقـيع كاليا قوت حمر يزينها الـتصفيق
ثم كـان الـمزاج ماء سـحاب لا صدى آجن ولا مـطـروق

قال فطرب ثم قال أحسنت والله يا حماد يا جارية اسقيه فسقتني شربة ذهبت شربة بثلث عقلي فقال أعده فأعدته فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ثم قال للجارية الأخرى اسقيه فسقتني فذهب ثلث آخر من عقلي ثم قال لي سل حاجتك فقلت كائنة ما كانت قال نعم قلت إحدى الجاريتين قال هما جميعا

لك بما عليهما وما لهما ثم قال للأولى اسقيه فسقتني شربة سقطت منها فلم أعقل حتى أصبحت والجاريتين عند رأسي وإذا عشرة من الخدم مع كل واحدة بدرة فقال أحدهم إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول خذ هذه فانتفع بها في سفرك فأخذتها والجاريتين وعاودت أهلي - ويقولون شفعت الرسولين بثالث فيوهمون فيه لأن العرب تقول شفعت الرسول بآخر أي جعلتهما اثنين ليطابق هذا القول معنى الشفع الذي هو في كلامهم بمعنى اثنين فأما إذا بعثت ثالثا فوجه الكلام أن يقال عززت الرسولين بثالث كما قال سبحانه "إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث" والمعنى في عززته قويته ومن كلام العرب أعززت الرجل أي جعلته عزيزا وعززته أي جعلته قويا فإن واترت الرسل فالأحسن أن تقول قفيت بالرسل كما قال الله تعالى " ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم " -ويقولون للبلدة التي استحدثها المعتصم بالله سامراء - فيوهمون فيه كما وهم البحتري فيها إذ قال في صلب بابك

أخليت منه البذ وهي قراره ونصبته علما بسامراء

والصواب أن يقال فيها سر من رأى على ما نطق بها في الأصل لأن المسمى بالجملة يحكي على صيغته الأصلية كما يقال جاء تأبط شراً وهذا ذرا حبا ومنه قول الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصر وتحلب

يعني بنى التي تسمى شاب قرناها ولهذا نظائر في كلام العرب وأشعارهم ومحاوراتهم وأمثالهم وحكاية المسمى بالجملة من مقاييس أصولهم وأوضاعهم فلهذا وجب أن ينطق باسم البلدة المشار إليها على صيغتها الأصلية من غير تحريف فيها ولا تغيير لها وذلك أن المعتصم بالله حين شرع في إنشائها ثقل ذلك على العسكر فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها فقيل فيها سر من رأى ولزمها هذا الاسم وعليه قول دعبل في ذمها

بغداد دار الملوك كانت حتى دهاها الذي دهاها

ما سر من را بسر من را بل هي بؤس لمن راها

وعليه أيضا قول عبيد الله بن عبد الله في صفة الشعري

أقول لما هاج قلبي الذكرى واعترضت وسط السماء الشعري

كأنها ياقوتة في مدرا ما أطول الليل بسر من را

فنطق الشاعران باسمها على وضعه وسابق صيغته وإن كانا قد حذفا همزة رأى لإقامة الوزن وتصحيح النظم - ويقولون لما يجمد من فرط البرد قريص بالصاد - فيوهمون فيه كما وهم بعض المحدثين فيما كتب إلى صديق له يدعوه

عندنا قبح مصوص ولنا جدي قريص

ومن الحواء لونا ن عقيد وخبيص

ونبيذ لو خرطنا ه أتت منه فصوص

والصواب أن يقال فيه قريس بالسين لاشتقاقه من القرس وهو البرد ومنه الحديث قرسوا الماء في السنان أي بردوه ويدل عليه قول أبي زبيد

وقد تصليت حر حربهم كما تصلى المقرور من قرس

وقد يقال بإسكان الراء والشاهد عليه قول الشاعر

مطاعين في الهيجا مطاعيم في القوى إذا اصفر آفاق السماء من القرس

يعني بالقوى المكان المقفر وقد رواه بعضهم مطاعيم في القرى والرواية الأولى أفخم في المعنى وأبلغ في المدح وأما القارص بالصاد فهو بالذي يلذع اللسان ويقال منه لبن قارص ونبيذ قارص -ويقولون قتله الحب - والصواب أن يقال فيه اقتتله كما قال ذو الرمة

إذا ما امرؤ حاولن أن يقتتلنه بلا احنة بين النفوس ولا دخل

تبسمن عن نور الأقاحي في الثرى وفترن من ابصار مضروجة كحل

وعنى به عين البرقع ويقال أيضا اقتتل فلان إذا قتله عين النسا والجن -ويقولون ما يعرضك لهذا الأمر بضم الياء وكسر الراء وتشديدها - والصواب أن يقال ما يعرضك لهذا الأمر بفتح الياء وضم الراء أي ما ينصب عرضك له وعرض الشيء جانبه ومنه قولهم اضرب به عرض الحائط أي جانبه أي أحد نواحيه وأما الخبر

كل الجبن عرضا أي ممن يعترض ولا تفحص عنه هل جبنه مسلم أو مشرك - ويقولون ما كان ذلك في حسابي أي في ظني- ووجه الكلام أن يقال ما كان ذلك في حسباني لأن المصدر من حسبت بمعنى ظننت محسبة وحسبانا بكسر الحاء فأما الحساب فهو اسم للشيء المحسوب واسم للمصدر من حسبت الشيء بمعنى عددته الحسب والحسبان بضم الحاء ومنه قوله تعالى " والشمس والقمر بحسبان " وقد جاء الحسبان بمعنى العذاب كقوله تعالى " ويرسل عليها حسبانا " وأصله السهام الصغار الواحدة منها حسبانة - ويقولون تنوق في الشيء - والأفصح أن يقال تأنق كما روى للمنصور رحمه الله

تأنقت في الإحسان لم آل جاهـدا إلى ابن أبي ليلى فصيره ذمـا
فو الله ما آسى على فوت شكره ولكن فوت الرأي أحدث لي هما

واشتقاق هذه اللفظة من الأنق وهو الإعجاب بالشيء ومن أمثالهم ليس المتعلق كالمتأنق أي ليس القانع بالعلقة وهي البلغة كالذي يطلب النقاوة والغاية ويضرب أيضا للجاهل الذي يدعى الحذق خرقاء ذات نيقة
- ويقولون للمخاطب هم فعلت وهم خرجت - فيزيدون هم في افتتاح الكلام وهو من أشنع الأغلاط والأوهام وحكى أحمد بن إبراهيم المعدل قال سمعت الأخفش يقول لتلامذته جنبوني أن تقولوا بس وأن تقولوا هم وأن تقولوا ليس لفلان بخت والمنقول من لغات العرب أن بعض أهل اليمن يزيدون أن في الكلام فيقولون أم نحن نضرب الهام أم نحن نطعم الطعام أي نحن نضرب ونطعم وأخذوا في زيادة أم مأخذ زيادة معكوسة وهو ما في مثل قوله تعالى " فبما رحمة من الله " وعما قليل وقد روى عن حمير أنهم يجعلون آلة التعريف أم فيقولون طاب أم ضرب يريدون طاب الضرب وجاء في الآثار فيما رواه النمر بن تولب أنه صلى الله عليه وسلم نطق بهذه اللغة في قوله "ليس من أم برام صيام في أم سفر" يريد ليس من البر الصيام في السفر وحكى الأصمعي أن معاوية قال ذات يوم لجلسائه " من أفصح الناس فقام رجل من السماط فقال قوم تباعدوا عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكشكشة ربيعة وكسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير فقال من أولئك قال قومك يا أمير المؤمنين وأراد بعنعنة تميم أن تميما يبدلون من الهمزة عينا كما قال ذو الرمة

أعن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

يريد أن توسمت وأما تلتلة بهراء فيكسرون حروف المضارعة فيقولون أنت تعلم وحدثني أحد شيوخي رحمه الله أن ليلى الأخيلية كانت ممن يتكلم بهذه اللغة وأنها استأذنت يوم على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشعبي فقال له أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أضحك منها قال افعل فلما استقر به المجلس قال لها الشعبي يا ليلى ما باك قومك لا يكتنون فقالت له ويحك أما نكتني فقال لا والله ولو فعلت لاغتسلت فخجلت عند ذلك واستغرق عبد الملك في الضحك وأما كشكشة ربيعة فإنهم يبدلون عند الوقف كاف المخاطبة شينا فيقولون للمرأة ويحك ما بش فيقرون الكاف التي يدرجونها على هيئتها ويبدلون من الكاف التي يقفون عليها شينا وفيهم من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدلون الكاف فيه أيضا شينا وعليه أنشد بيت المجنون

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق

وأما كسكسة بكر فإنهم يزيدون على كاف المؤنث في الوقف سينا ليبينوا حركة الكاف فيقولون مررت بكس وأما غمغمة قضاعة فصوت لا يفهم تقطيع حروفه وأما طمطمانية حمير فقد مضى تفسيرها فيما تقدم - ويقولون قرضته بالمقراض وقصصته بالمقص - فيوهمون فيه كما وهم بعض المحدثين حين قال في صفة مزنون بالقيادة وإن كان قد أبدع في الإجادة

ألق ابن إسحاق تلاقي فتى ليس امرؤ عنه بمنعاض
إذا حبيب صدّ عن ألـفـه تيها وأعى كـل رواض
ألف فيما بين شخصيهمـا كأنه مسمار مـقـراض

والصواب أن يقال مقراضان ومقصان وجلمان لأنهما اثنان ونظير هذا الوهم قولهم للاثنين زوج وهو خطأ لأن الزوج في كلام العرب هو الفرد المزاوج لصاحبه فأما الاثنان المصطحبان فيقال لهما زوجان كما قالوا

عندي زوجان من النعال أي نعلان وزوجان من الخفاف أي خفان وكذلك يقال للذكر والأنثى من الطير زوجان كما قال تعالى "وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى" ومما يشهد بأن الزوج يقع على الفرد المزاوج لصاحبه قوله تعالى "ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين " ثم قال سبحانه في الآية التي تليها "ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل ألذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين" فدل التفصيل على أن معنى الزوج الإفراد -ويقولون في تصغير شئ وعين شوي وعوينة - فيقلبون الياء فيهما واوا والأفصح أن يقال شي وعيينة بإثبات الياء وضم أولهما وقد جوز كسر أولهما في التصغير من أجل الياء ليشاكل الحرف والحركة ومن هذا القبيل قولهم قي تصغير ضيعة ضويعة وفي تصغير بيت بويت والاختيار فيهما ضييعة وبييت كما أنشدت للخليل بن أحمد

إن لم فكن لك جدى أغناك خل وزيت
أو لم يكن ذا ولا ذا فكسـرة وبـييت

ويقولون أشرف فلان على الاياس من طلبه فيوهمون فيه كما وهم أبو سعيد السكري وكان من أجلّ النحويين وأعلام العلماء المذكورين فقال إن إياسا سمي بالمصدر من أيس وليس كذلك ووجه الكلام أن يقال أشرف على اليأس لأن أصل الفعل منه يئس على وزن فعل كما قال تعالى " قد ييئسوا من الآخرة كما ييئس الكفار من أصحاب القبور " فأما قولهم أيس بتقديم الهمزة فإنه مقلوب من يئس واستدل شيخنا أبو القاسم على صحة ذلك بأن لفظة يئس تساوي لفظة اليأس الذي هو الأصل في نظم الصيغة ونسق الحروف لكون الباء مبدوءا بها فيها والهمزة مثنى بها بخلاف تنزلهما من لفظة أيس لأن الهمزة من لفظة أيس مبدوء به والياء مثنى بها فلهذه العلة حكم على لفظة أيس بأنها مقلوبة من يئس والمقلوب لا يتصرف تصرف الأصل ولا يكون له مصدر وأما إياس فهو عند المحققين مصدر أشه أعطيته والاسم منه الأوس الذي اشتقت منه المواساة فكأنهم سموا اياسا بمعنى تسميتهم عطاء قال شيخنا أبو القاسم الفضل بن محمد النحوي رحمه الله فأما قولهم جذب وجبذ فليست هاتان اللفظتان عند المحققين من النحويين من قبيل المقلوب كما ذكر أهل اللغة بل هما لغتان وكل واحدة منهما أصل في نفسها ولهذا اشتق لكل منهما مصدر من لفظه فقيل في مصدر جبذ جبذ كما قيل في مصدر جذب جذب ومما يوهمون فيه أيضا من شجون هذه اللفظة قولهم للقانط مؤيس من الشيء والصواب أن يقال فيه يائس منه أو آيس والأصل فيه يائس ومنه قول مقرون بن عمر الشيباني

فما أنا من ريب المنون بجبأ وما أنا من سيب الإله بيائس

وأما المؤيس فهو الذي عرض لليأس وألجئ إليه - ويقولون للقناة الجوفاء التي يرمى عنها بالبندق زربطانة - والصواب أن يقال فيها سبطانة وهو الطول والامتداد ومنه سمي الساباط لامتداده بين الدارين

ويقولون جرح الرجل في ثديه - فيوهمون فيه والصواب أن يقال جرح في ثندؤته لأن الثدي يختص بالمرأة والثندؤة تختص بالرجل وفيها لغتان ثندؤة بضم الثاء والهمزة وثندؤة بفتح الثاء وترك الهمز وتجمع الثندوة على الثنادي وقد قيل فيها أنها طرف الثدي فأما تسمية المقتول من الخوارج بالنهروان ذا ثدية فليست الإشارة فيه إلى أن له ثديا فأضيف إليه ولا التصغير واقع على الثدي أيضا لأن الثدي مذكر والمذكر لا تلحقه الهاء إذا صغر وإنما المراد فيه أن يده كانت لنقص خلقها تشبه بالقطعة من ثدي المرأة فأنثت عند التصغير أسوة المؤنث المصغر ويعضد هذا القول أنه قد سمى في بعض الروايات ذا البدية تنبيها على المعنى المبدوء به وذكر بعضهم أن التصغير وقع على لحمة كانت ملتصقة بالثندؤة تشبه الحلمة فجاء التأنيث من قبل اللحمة لا من قبل الثدي والدليل على تذكير الثدي قول الشاعر

وصدر مشرق النحر كأن ثدييه حـقـان

ويروي ثدياه بالرفع على تقدير إضمار الهاء أي كأنه وقد قيل إن كان جاءت بمعنى لكن فلهذا رفع ورواه المبرد كأن ثدييه فقيل له بأي شئ نصبته فقال أراد كأن فأعملها مع التخفيف ومن أوهامهم أيضا في الثدي

جمعهم إياه على ثدايا والصواب جمعه على ثدي وكان الأصل فيه ثدوي على وزن فعول فقلبت الواو ياء لسكونها قبل الياء ثم أدغمت إحدى اليائين في الأخرى ومن جملة أوهامهم أنهم إذا ألحقوا لام التعريف بالأسماء التي أولها ألف وصل نحو ابن وابنة واثنين واثنتين سكنوا لام التعريف وقطعوا ألف الوصل احتجاجا بقول قيس بن الحطيم

إذا جاوز الاثنين السر فإنه يبث وتكثير الوشاة قمين

والصواب في ذلك أن تسقط ألف الوصل وتكسر لام التعريف والعلة فيه انه لما دخل لام التعريف على هذه الأسماء صارت همزة الوصل حشوا والتقى في الكلمة ساكنان لام التعريف والحرف الساكن الذي بعد همزة الوصل فلهذا وجب كسر لام التعريف فأما البيت المستشهد به فمحمول على ضرورة الشعر على أن أبا العباس المبرد ذكر أن الرواية فيه إذا جاوز الخلين

وإن كان الأشهر الرواية الأولى حتى أن بعضهم أشار إلى أنه عنى بالاثنين الشفتين وكذلك الحكم فيما يلحق بأسماء المصادر التي أولها همزة الوصل من لام التعريف في إسقاط الهمزة وكسر لام التعريف وكقولك الاقتدار والانطلاق والاحمرار للعلة التي تقدم ذكرها وأمثلة هذا القبيل من المصادر تسعة ثلاثة خماسية وهي افتعل نحو اقتدار وانفعل نحو انطلق وافعلّ نحو احمرّ وستة سداسية وهي استفعل نحو استخرج وافعنلل نحو اقعنسس وافعوعل نحو اخشوشن وافعوّل نحو اجلوذ وافعال نحو احمارّ وافعلل نحو اقشعر - ويقولون نجزت القصيدة بفتح الجيم - إشارة إلى انقضائها وليس كذلك لأن معنى نجز بالفتح حضر ومنه قولهم بعثه ناجزا بناجز أي حاضرا بحاضر ونقدا بنقد فأما إذا كان بمعنى الفناء والانقضاء فالفعل منه نجز بكسر الجيم ذكر ذلك أبو عبيد الهروي في كتاب الغريبين والشاهد عليه قول النابغة

وكانوا ربيعا لليتامى وعصمة فملك أبي قاموس أضحى وقد نجز

-ويقولون في جمع جوالق جوالقات - فيخطئون فيه لأن القياس المطرد أن لا تجمع أسماء الجنس المذكر بالألف والتاء وإنما شذت العرب عن هذا القياس أسماء جمعتها بالألف والتاء تعويضا لأكثرها عن تكسيره وهي حمام وساباط وسرداق وإيوان وهاون وخيال وجواب وسجل ومكتوب ومقام ومصام واوان وهو حديدة تتكون مع الرائض وبوان بكسر الباء وضمها وهو عمود في الخباء وقالوا في جمع شعبان ورمضان وشوال والمحرم شعبانات ورمضانات وشوالات ومحرمات وجميع ذلك مما شذ عن الأصول ولا يستعمل فيه غير المحصور المنقول ولهذا عيب على أبي الطيب جمعه بوقا على بوقات في قوله

فإن يك بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

فأما جمعهم سراويل على سراويلات وطريقا على طرقات فهو من قبيل جمع المؤنث لتأنيثها في بعض اللغات فأما جوالق فذكر سيبويه أنه لم يسمع عنهم في جمعه إلا جواليق وأجاز غيره أن يجمع على جوالق بفتح الجيم كما قالوا في غرانق وهو الشاب الحسن الشباب غرانق بالفتح وفي حلاحل وهو السيد الوقور حلاحل بالفتح وفي عراعر وهو رئيس القوم عراعر فإن قيل كيف جمع المصغر بالألف والتاء نحو بويبات ودريهمات فالجواب أن المصغر بمنزلة الموصوف إذ لا فرق بين قولك بويب وباب صغير وصفات المذكر الذي لا يعقل تجمع بالألف والتاء نحو السيوف المرهفات والجبال الشامخات والأسود الضاريات ومن حكم هذا النوع من المذكر المجموع بالألف والتاء أن يذكر في باب العدد بلا هاء كالمؤنث فيقال كتبت ثلاث سجلات وبنيت ثلاث حمامات لأن الاعتبار في باب العدد باللفظ دون المعنى وأجاز بعضهم أن تلحق الهاء في عدده اعتبارا بمعنى واحده لا بلفظ جمعه فيقال ثلاثة سجلات وخمسة حمامات لأن واحدها سجل وحمام وكلاهما مذكر كما يقال ثلاثة طلحات وخمسة حمزات فأما حكم بطات وحمامات فعند أكثرهم أن الاعتبار فيها باللفظ فيقال عندي ثلاث بطات ذكور لأن لفظة البطة مؤنثة وإن وقعت على مذكر فلهذا وجب أن يجرد العدد فيها من الهاء وكذلك لما كان الغالب على المجموع بالألف والتاء أن يكون مؤنث الذي تجرد عدده من الهاء لحق به ما جاء

عليهما من جنس المذكر ليطرد الحكم فيه ويسلم أصله المنعقد من نقض يعتريه وذكر بعضهم أنه يراعي الأسبق من المفسرين فإن قال عندي ثلاث بطات ذكور جرد العدد من الهاء لتقدم المفسر المؤنث وان قال عندي ثلاثة ذكور من البط أثبتت الهاء لتقدم المفسر المذكر
ومن أوهامهم انزارية على افهامهم العاكسة معنى كلامهم أنهم لا يفرقون بين معنى نعم وبلى فيقيمون إحداهما مقام الأخرى وليس كذلك لأن نعم تقع في جواب الاستخبار المجرد من النفي فترد الكلام الذي بعد حرف الاستفهام كما قال تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم لأن تقديره وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وأما بلى فتستعمل في جواب الاستخبار عن النفي ومعناها إثبات المنفي ورد الكلام من الجحد إلى التحقيق فهلى بمنزلة بلى حتى قال بعضهم أن أصلها بل وإنما زيدت عليها الألف ليحسن السكوت عليها وحكمها أنها متى جاءت بعد ألا وأما ألم أليس رفعت حكم النفي وأحالت الكلام إلى الإثبات ولو وقع مكانها نعم لحققت النفي وصدقت الجحد ولهذا قال ابن عباس في تأويل قوله تعالى " ألست بربكم " قالوا بلى لو أنهم قالوا نعم لكفروا وهو صحيح لأن حكم نعم أن ترفع الاستفهام فلو أنهم قالوا نعم لكان تقدير قولهم لست بربنا وهو كفر وإنما دل على إيمانهم بلى التي يدل معناها على رفع النفي فكأنهم قالوا أنت ربنا لأن أنت بمنزلة التاء التي في لست ويحكى أن أبا بكر بن الأنباري حضر مع جماعة من العدول ليشهدوا على إقرار رجل فقال أحدهم للمشهود عليه ألا نشهد عليك فقال نعم فشهدت الجماعة عليه وامتنع أبو بكر بن الأنباري وقال أن الرجل منع أن يشهد عليه بقوله نعم لأن تقدير جوابه بموجب ما بيناه لا تشهدوا عليّ وفي لفظة نعم لغتان كسر العين وفتحها وقد قرئ بهما وجمع بعضهم بين اللغتين في بيت فقال

دعاني عبد الله نفسي فـداؤه فيالك من داع دعاني نعم نعم

ومن ذلك أنهم لا يفرقون بين قولهم زيد يأتينا صباح مساء على الإضافة ويأتينا صباح مساء على التركيب وبينهما فرق يختل فالمعنى فيه وهو أن المراد به مع الإضافة أنه يأتي في الصباح وحده إذ تقدير الكلام يأتينا في صباح مساء والمراد به عند تركيب الاسمين وبنتهما على الفتح أنه يأتي في الصباح والمساء وكان الأصل هو يأتينا صباحا ومساء فحذفت الواو العاطفة وركب الاسمان وبنيا على الفتح لأنه أخف الحركات كما فعل في العدد المركب من أحد عشر إلى تسعة عشر ومن ذلك أنهم لا يفرقون بين الترجي والتمني والفرق بينهما واضح وهو أن التمني يقع على ما لا يجوز أن يكون ويجوز أن لا يكون كقولهم ليت الشباب يعود والترجي يختص بما يجوز وقوعه ولهذا لا يقال لعل الشباب يعود ولأجل افتراقهما في هذا المعنى فرق البصريون من النحويين بينهما في باب الجواب بالفاء فأجازوا أن تقع الفاء جواباً للتمني في مثل قوله تعالى " يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما " ومنعوا أن تقع الفاء جوابا للترجي وضعفوا قراءة من قرأ " لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى " بنصب أطلع ورجحوا قراءة من قرأ بالرفع - ومن ذلك أنهم لا يفرقون بين العرّ والعرّ - بفتح العين وضمها وبينهما فرق في اللغة وهو أن العر بالفتح الجرب وبالضم قروح تخرج في مشافر الإبل وقوائمها وكانت الجاهلية إذا رأتها ببعير كوت مشافر الصحاح ويرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهبت القروح من إبلهم على ما أبدعوه من أضاليل أحكامهم وإلى هذا أشار النابغة في قوله

وحملتني ذنب امرئ وتـركـتـه كذى العرّ يكوي غيره وهو راتع

ومن رواه كذى العر بالفتح فقد وهم فيه لأن الجرب لا تكوى الصحاح منه - ومن ذلك أنهم لا يفرقون بين قولهم بكم ثوبك مصبوغا وبكم ثوبك مصبوغ - وبينهما فرق يختلف المعنى فيه وهو أنك إذا نصبت مصبوغا كان انتصابه على الحال والسؤال واقع على ثمن الثوب وهو مصبوغ وإن رفعت مصبوغا رفعته على أنه خبر المبتدأ الذي هو ثوبك وكان السؤال واقعا عن أجرة الصبغ لا عن ثمن الثوب
وكذلك لا يفرقون أيضا بين قولهم لا رجل في الدار ولا رجلٌ في الدار والفرق بينهما أنك إذا قلت لا رجل في الدار بالفتح فقد عممت جنس الرجال بالنفي وكان كلامك جواب من قال لك هل لك من رجل في الدار بالرفع فالمراد بالنفي الخصوص وكأنه جواب من قال لك هل من

رجل في الدار وإذا قلت لا رجل في الدار بالرفع فالمراد بالنفي الخصوص وكأنه جواب من قال هل رجل في الدار ولهذا يجوز أن يقال في هذه المسألة لا رجل في الدار بل رجلان لأن معنى الكلام تخصيص نفي الواحد ولا يجوز أن يقال لا رجل في الدار بالفتح بل رجلان لتناقض الكلام فيه لأن أول الكلام يقتضي عموم هذا النفي فكيف يعقب بالإثبات.

لا يفرقون بين قولهم خلف الله عليك

واخلف الله عليك - والفرق بينهما أن لفظة خلف الله تقال لمن هلك له من لا يستعضيه ويكون المعنى كان الله لك خليفة منه ولفظة أخلف الله عليك تستعمل فيما يرجى اعتياضه ويؤمل استخلافه - وكذلك لا يفرقون بين معنى مخوف ومخيف - والفرق بينهما أنك إذا قلت الشيء مخوف كان إخبارا عما حصل الخوف منه كقولك الأسد مخوف والطريق مخوف وإذا قلت مخيف كان إخبارا عما يتولد الخوف منه كقولك مرض مخيف أي يتولد منه الخوف لمن يشاهده -ومن هذا النمط انهم لا يفرقون بين أو وأم - في الاستفهام فينزلون إحداهما منزلة الأخرى فيوهمون فيه لأن الاستفهام بأو يكون عن أحد شيئين فينزل قولهم أزيد عندك أو عمرو منزلة قولهم أأحد هذين الرجلين عندك ولهذا وجب أن يجيب عنه بنعم أو بلا كما لو قيل لك أأحدهما عندك والاستفهام بأم وضع لطلب التعيين على أحد الشيئين فتعادل أم مع الهمزة لفظة أي ولذلك وجب أن يجاب بأحد الاسمين كما لو قيل أيهما عندك قال شيخنا أبو القاسم الفضل بن محمد النحوي وكان تريتب الاستفهام أن يستفهم الإنسان في مبدأ كلامه بأو ثم يعقب بأم لأن تقدير قولك أزيد عندك أم عمرو أي قد علمت أن أحدهما عندك فبين لي أيهما هو ومما يمتزج بهذا الفصل أيضا أنهم لا يفرقون بين قولهم ما أدري أأذن أو أقام وقولهم ما أدري أأذن أم أقام والفرق بينهما أنك إذا نطقت بأم في هذا الكلام كنت شاكا فيما أتى به من الأذان أو الإقامة وإذا أتيت بأو فقد حققت أنه أتى بالأمرين إلا انه لسرعة ما قرب بينهما صار بمنزلة من لم يؤذن ولم يقم ويكون مجيء أو ههنا للتقريب ومن هذا القبيل أيضا أنهم لا يفرقون بين الحث والحض وقد فرق بينهما الخليل بن أحمد فقال الحث يكون في السير في السوق وفي كل شئ والحض يكون فيما عدا السير والسوق نحو قوله تعالى " ولا يحض على طعام المسكين " وكذلك لا يفرقون بين النعم والأنعام وقد فرقت بينهما العرب فجعلت النعم اسما للإبل خاصة أو للماشية التي فيها الإبل وقد تذكر وتؤنث وجعلت الأنعام اسما لأنواع المواشي من الإبل والبقر والغنم حتى أن بعضهم أدخل فيها الظباء وحمر الوحش تعلقا بقوله تعالى " أحلت لكم بهيمة الأنعام " ومن ذلك توهمهم أن معنى بات فلان أي نام - وليس كذلك بل معنى بات أظله المبيت وأجنه الليل سواء نام أم لم ينم يدل على ذلك قوله تعالى " والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما " ويشهد به أيضا قول ابن رميض

باتوا نياما وابن هند لم ينـم بات يقاسيها غلام كالزلـم

وليس براعي إبل ولا غنم

فأخبر عنه أنه بات متصديا لحفظها ممن هم بخرابتها أي سرقتها لأن الخرابة اسم يختص بسرقة الإبل والخارب المتلصص عليها خاصة

أن القين هي المغنية الخاصة

- وهي في كلام العرب الأمة مغنية كانت أو غير مغنية وعلى ذلك قول زهير

رد القيان جمال الحيّ فاحتملوا إلى الظهيرة أمر بينهم لبـك

لبك مختلط يقال لبكت على فلان الأمر إذا خلطته وكذلك لبكت الطعام بالعسل وغيره ويقال ما ذقت عبكة ولا لبكة فالعبكة الكسرة من الخبز واللبكة اللقمة من الحيس وقيل من الثريد والصل في اشتقاق القينة من قنة الشيء أقنته قينا إذا لممته ومنه قول الشاعر

ولي كبد مقروحة قد بدا بـهـا صدوع الهوى لو كان قين يقينها

ومن هذا سمي الصائغ والحداد قينا وسميت الماشطة أيضا قينة

ومن ذلك توهمهم أن الراحلة اسم يختص بالناقة النجيبة - وليس كذلك بل الراحلة تقع على الجمل والناقة والهاء فيها هاء المبالغة كالتي في داهية وراوية وإنما سميت راحلة لأنها ترحل أي يشهد عليها الرحل فهي فاعلة بمعنى مفعولة كما جاء في التنزيل عيشة راضية بمعنى مرضية وقد ورد فاعل بمعنى مفعول في عدة مواضع من القرآن كقوله تعالى " لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم " أي لا معصوم وكقوله سبحانه " من ماء دافق " أي مدفوق وكقوله عز اسمه " إنا جعلناه حرما آمنا " أي مأمونا وجاء أيضا مفعول بمعنى فاعل

كقوله سبحانه " حجابا مستورا " أي ساترا "وكان وعده مأتيا " أي آتيا وقد يكنى عن الفعل بالراحة لكونها مطية القدم وإليها أشار الشاعر الملغز بقوله

رواحلنا ست ونحن ثـلاثة نجنبهن الماء في كل مورد

ومن هذا النمط أيضا توهمهم أن البهيم نعت يختص بالأسود لاستماعهم ليل بهيم - وليس كذلك بل البهيم اللون الخالص الذي لا يخالطه لون آخر ولا يمتزج به شية عير شيته ولذلك لم يقولوا لليل المقمر ليل بهيم لاختلاط ضوء القمر به فعلى مقتضى هذا الكلام يجوز أن يقال أبيض بهيم وأشقر بهيم وجاء في الآثار يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة بهما أي على صفة واحدة من صحة الأجساد والسلامة من الآفات ليتم لهم بذلك الخلود الأبد والبقاء السرمد ومنه أيضا توهمهم أن السوقة اسم لأهل السوق وليس كذلك بل السوقة الرعية سموا بذلك لأن الملك يسوقهم إلى إرادته ويستوي لفظ الواحد والجماعة فيه فيقال رجل سوقة وقوم سوقة كما قالت الحرقة بنت النعمان

فبينا نسوق الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ننتصـف

فأما أهل السوق فهم السوقيون وواحدهم سوقيّ والسوق في كلام العرب تذكر وتؤنث أن هوى لا يستعمل إلا في الهبوط

وليس كذلك بل معناه الإسراع الذي قد يكون في الصعود والهبوط وفي حديث البراق فانطلق يهوي به أي يسرع وذكر أهل اللغة أن مصدر الصعود الهوى بضم الهاء ومصدر الهبوط الهوى بفتحها فأما قوله تعالى كالذي استهوته الشياطين فقيل ذهبت به وقيل استمالته بالإضلال واختلسته بالأهواء قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي رحمه الله وقد عثرت لجماعة من الكبراء على أوهام في الهجاء عدلوا في بعضها عن رسومه المقررة ولم يفرقوا في بعضها بين مواقع اللفظة المستطردة فرأيت أن أكشف عوارها وأنبه على التعري من عارها للتنوع فوائد هذا الكتاب وتتجلى به أكثر الشبه عن الكتاب - فمن ذلك أنهم يكتبون بسم الله - بحذف الألف أينما وقع وحيثما اعترض فيوهمون فيه لأن الألف إنما حذفت منه إذا كتب في فواتح السرور وأوائل الكتب لكثرة استعماله في كل ما يبدأ به ويشرع فيه وتقدير الكلام في البسملة أن المصدرة أبدأ بسم الله وأفتتح باسم الله فترك إظهار هذا الفعل لدلالة الحال عليه فإن أبرز وجب إثبات الألف كما أثبتت في قولك اقرأ باسم ربك وقد رأيت أحد الأعيان المتشيعين بدعوى البيان كتب في صدر كتابه بسم الله الرحمن الرحيم أستفتح به وأستنجح فحذف الألف من بسم الله مع إظهار الألف وقد وهم في حذفه وأبان عن قصور الاستبصار وضعفه وإنما كان يسوغ له حذف الألف لو أنه عطف بالواو على البسملة المجردة كما يكتب قوم بعد البسملة وبه أستعين فيكون تقدير الكلام أفتتح باسم الله وبه استعين نعم فقد منع أكثر العلماء بأوضاع الهجاء من حذف هذه الألف عند الإضافة إلى اسم الله تعالى خاصة فإن أضيف إلى غيره من أسمائه الحسنى نحو الرحمن والقهار وجب إثبات الألف في كتبك باسم الرحمن باسم القهار وعلل في ذلك بقلة مقدار هاتين اللفظتين ونظائرهما في الكلام وعند افتتاح الأعمال

ومن ذلك أنهم يحذفون الألف من ابن في كل موضع يقع بعد اسم أو كنية أو لقب - وليس ذلك مطردا على ما توهموه ولا يوجب حذف الألف ما تخيلوه لأنه إنما تحذف الألف من ابن إذا وقع صفة بين علمين من أعلام الأسماء أو الكنى أو الألقاب ليؤذن تنزله مع الاسم قبله منزلة الاسم الواحد لشدة اتصال الصفة بالموصوف وحلوله محل الجزء منه ولهذه العلة حذف التنوين من الاسم قبله فقيل علي بن محمد كما يحذف من الأسماء المركبة في رامهرامز وبعلبك فما عدا هذا الموطن وجب إثبات الألف فيه وذلك في خمسة مواطن إحداها إذا أضيف ابن مضمر كقولك هذا زيد ابنك والثاني إذا أضيف إلى غير أبيه كقولك المعتضد بالله ابن أخي المعتمد على الله والثالث إذا نسب إلى الأب الأعلى كقولك أبو الحسن ابن المهتدي بالله والرابع إذا عدل به عن الصفة إلى الخبر كقولك إن كعبا ابن لؤي والخامس إذا عدل به عن الصفة أيضا إلى الاستفهام كقولك هل تميم ابن مرّ وذلك أن ابنا في الخبر والاستفهام بمنزلة

المنفصل عن الاسم الأول إذ تقدير الكلام أن كعبا هو ابن لؤي وهل تميم هو ابن مر فأثبتت الألف فيه كما أثبتت في حالة الاستئناف به - وكذلك يكتبون الرحمن بحذف الألف في كل موطن - وإنما حذفت الألف منه عند دخول لام التعريف فإن تعرى منها كقولك يا رحمان الدنيا والآخرة أثبتت الألف فيه ويماثل ذلك اختيارهم أن يكتب الحارث حذف الألف مع لام التعريف وبإثباتها عند التنكير لئلا يشتبه بحرب ومن قبيل ما تثبت الألف فيه في موطن وتحذف في موطن صالح ومالك وخالد فتثبت الألف فيها إذا وقعت صفات كقولك زيد صالح وهذا مالك الدار والمؤمن خالد في الجنة وتحذف الألف منها إذا جعلت أسماء محضة ومن شذوذ هذا السمط أيضا أنهم يكتبون هاذاك وهاتاك وبحذف الألف مقايسة على حذفها في هذا وهذه ويوهمون فيه لأن ها التي للتنبيه لما وصلت بذا جعلا كالشيء الواحد فحذفت الألف منها لهذه العلة فإذا اتصلت بالكلمة كاف الخطاب استغنى بها عن حرف التنبيه فوجب لذلك فصله عن اسم الإشارة واثبات الألف فيه فأما ثلاث فإن أفرد كقولك بعت من النوق ثلاثا كتب بالألف لاتقاء اللبس فيه بثلث وإن أضيف أو وصف كقولك حلبت ثلث نوق وما فعلت النوق الثلث كتب بحذف الألف لارتفاع اللبس فيه وكذلك يكتب ثلثة وثلثون بحذف الألف لأن علامة الجمع الملتحقة بآخرهما منعت من إيقاع اللبس فيهما ومما يوهمون فيه كتبهم الحياة والصلاة والزكاة بالواو في كل موطن وليس ذلك على عمومه لوجوب إثبات الألف فيها عند الإضافة ومع التثنية كقولك حياتك وزكاتك وصلاتك وصلاتان وزكاتان وإنما فعل ذلك لأن الإضافة والتثنية فرعان على المفرد وقد يجوز في الأصل ما لا يجوز في الفرع
ومن ذلك أنهم يكتبون كل ما موصولة إذا كانت بمعنى كل وقت كقوله تعالى " كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله " وإن وقعت ما المقترنة بها موقع الذي كتبت مفصولة نحو كل ما عندك حسن لأن تقديره كل الذي عندك حسن وكذلك حكم إن وأين وأيّ إذا اتصلت بهن ما التي هي بمعنى الذي كتبن مفصولة كقولك إن ما عندك حسن وأين ما كنت تعدني وأيّ ما عندك أفضل لأن تقدير الكلام إن الذي عندك حسن وأين الذي كنت تعدني وأيّ الذي عندك أفضل وإن وقعت ما موقع الصلة أو كانت كافة لأنّ عن العمل كتبت موصولة كما كتبت في قوله تعالى " أيما الأجلين قضيت وإنما الله إله واحد وأينما تكونوا يدرككم الموت لأن تقدير الكلام أن الله إله واحد وأيّ الأجلين قضيت وأين تكونوا وأما حيثما فالاختيار أن تكتب موصولة لأن ما لا تقع بعدها موقع الاسم وكذلك طالما وقلما لأن فيهما صلة بدليل شبههما بربما في أن الفعل لم يكن يلي إحداهما إلا بعد اتصالهما بما وقد جوز في نعما وبئسما أن تكتبا مفصولتين وموصولتين إلا أن الاختيار في نعما الوصل لالتقاء الحرفين المتماثلين فيها بخلاف بئسما وأما إذا التحقت ما بلفظة في فإن كانت للاستفهام حذفت ألفها وكتبت فيم رغبت وفيم جئت وإن كانت بمعنى الذي وصلت وأثبتت ألفها فتكتب ورغبت فيما رغبت وتكتب عما موصولة كما كتبت في قوله تعالى " عما قليل " إلا أن تكون استفهامية كمجيئها في قوله تعالى " عم يتساءلون " فتكتب بحذف الألف وتكتب كيما موصولة وكي لا مفصولة لأن ما المتصلة بها لم تغير معنى الكلام ولا الملتحقة بها غيرت معناه وأما من إذا اتصلت بلفظة كل أو بلفظة مع لم تكتب إلا مفصولة وإنما كتبت موصولة عمن وممن لأجل إدغام النون في الميم كما أدغمت في عما وفي أن الشرطية إذا وصلت بما فصارتا أما - ومن ذلك أنهم إذا ألحقوا لا بأن حذفوا النون في كل موطن - وليس ذلك على عمومه بل الصواب أن يعتبر موقع أن فان وقعت بعد أفعال الرجاء والخوف والإرادة كتبت بإدغام النون نحو رجوت ألا تهجر وخفت ألا تفعل وأردت أن لا تخرج وإنما أدغمت النون في هذا الموطن لاختصاص أن المخففة في الأصل به ووقوعها عاملة فيه فاستوجبت إدغام النون بذلك كما تدغم النون في أن الشرطية عند دخول لا عليها وثبوت حكم عملها على ما كان عليه قبل دخولها فتكتب ألا تفعل كذا يكن كذا وإن وقعت أن بعد أفعال العلم واليقين أظهرت النون لأن أصلها في هذا الموطن أن المشددة وقد خففت

وذلك في مثل قوله تعالى " أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا " وكذلك وان وقع بعد لا اسم نحو عملت أن لا خوف عليه لأن التقدير في الموطنين أنه لا يرجع إليهم قولا وانه لا خوف عليه وإن كان وقوعها بعد أفعال الظن والمخيلة جاز إثبات النون وإدغامها لاحتمالها في هذا الموطن أن تكون هي الخفيفة في الأصل والمخففة من الثقيلة ولهذا قرئ " وحسبوا ألا تكون فتنة " بالرفع والنصب فمن نصبها أدغم النون في الكتابة ومن رفع أظهرها
وكذلك يفرقون في الكتابة بين موطني لا الداخلة على هل وبل - وقد فرق بينهما العلماء بأصول الهجاء فقالوا تكتب هلا موصولة وبل لا مفصولة وعللوا ذلك بأن لا لم تغير معنى بل لما دخلت عليها وغيرت معنى هل فنقلتها من أدوات الاستفهام إلى حيز التخصص فلذلك ركبت معها وجعلتا بمنزلة الكلمة الواحدة - ومن أوهامهم في الهجاء أنهم لا يفرقون بين ما يجب أن يكتب بواو واحدة وما يكتب بواوين ولا يميزون بين هذين النوعين - والاختيار عند أرباب هذا العلم أن يكتب داود وطاوس وناوس بواو واحدة للتخفيف وكذلك يكتب مسؤل ومسؤم بواو واحدة للاستخفاف أيضا وأن يكتب ذوو بواوين لئلا يشتبه بكتابة واحدة وهو ذو وأن يكتب بواوين مدعوون ومغزوون ونظائرهما مما لحقته واو الجمع وقبل الواو الأولى منه ضمة مؤول وشؤون ورؤوس ومؤونة وموؤدة فالأحسن أن يكتبن بواوين ومنهم من كتبها بواو واحدة وأما قبيل الأفعال فتكتب جاؤا وباؤا وشاؤا ونظائرها بواو واحدة وجوز أن يكتب يلوون ألسنتهم وهل يستوون بواوين وواو واحدة فان اجتمع في الكلمة واوان وانفتحت الواو الأولى منهما نحو احتووا واستووا واكتووا والتووا ولووا رؤسهم وأووا إلى الكهف كتب بواوين لأن بين الواوين ألفا محذوفة إذ أصل الكلمة قبل التحاق ضمير الجمع بها احتوى واستوى واكتوى فكتبت بواوين لتدل الواو الثانية على الألف المحذوفة ونظير ذلك أنه يكتب فوعل من وارى وشاور عاود وطاوع بواوين نحو ووري وشوور وعوود وطووع ليعلم بذلك أن إحدي الواوين أصلية والأخرى هي المنقلبة عن ألف فاعل وكذلك يجب إبرازها في اللفظ بأن يلبث على الأولى منها لبثة ما ثم يلفظ بالثانية وعلى هذا ينشد بيت جرير

بأن الخليط لو طووعت ما بانـا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

ومن أنشده ولو طوعت بالإدغام كان لاحنا كما أن من كتبها بواو واحدة فقد اخطأ خطأ فاحشا شائنا
ومن أوهامهم في الهجاء
لأنهم يخبطون خبط العشواء فيما يكتب بالأسماء المقصورة بالألف وفيما يكتب بالباء - والحكم فيه أن نعتبر الألف التي في الاسم المقصور الثلاثي فإن كانت منقلبة عن واو كتب ذلك الاسم بالألف وإن كانت من ذوات الياء كتبت بالياء وهذا الحكم أصل لا ينكسر قياسه ولا يهي أساسه والمعتبر فيه بالتثنية والجمع ويتصرف الفعل المأخوذ منه فعلى هذا يكتب العصا والقفا بالألف لقولك في الفعل منهما عصوت وقفوت وفي تثنيتهما عصوان وقفوان ويكتب الحمى والحصى بالياء لقولك فيهما حميت وحصيت ولقولك في تثنية حمى حميان وفي جمع حصى حصيات وإن زاد المقصور على الثلاثي كتب بالياء على كل حال نحو ملهى ومرمى ومبنى ومعلى ومعافى ومنادى ومثنى إلا أن يكون قبل آخره ياء فيكتب بالألف لئلا يجمع بين يائين وذلك نحو العليا والدنيا والمحيا والرؤيا ولم يشذ منه إلا يحيى إذا كان اسما فإنه يكتب بالياء ليفرق بينه وبين يحيا الواقع فعلا وإنما كتب جميع السماء المقصورة إذا تجاوزت الثلاثي بالياء ولم يفرق فيها بين ما أصل ألفه الواو نحو ملهى وما أصل ألفه الياء نحو مرمى لأن جميعها يثنى بالياء ولم يشذ منه إلا قولهم للمتوعد جاء ينفض
مذرويه فثنوا مذرى وهو طرف الالية بالواو لأجل أنه حين لم يلفظ بمفرده ميز عن نوعه وحكم ما يكتب من الأفعال المعتلة بالألف والياء مثل حكم الأسماء المقصورة ومعتبره أنه إذا كان الفعل ثلاثيا رددته إلى نفسك فإن وقعت الواو قبل ياء المتكلم كتب بالألف نحو رجا

ودعا وغدا لقولك رجوت ودعوت وغدوت وإن وقعت قبل ياء المتكلم كتبت بالياء نحو قضى وحمى لقولك قضيت وحميت ولهذه العلة كتب جميع ما زاد من الأفعال المعتلة على الثلاثي بالياء نحو أوفى واشترى واستقصى لقولك فيها أوفيت واشتريت واستقصيت اللهم إلا أن يكون قبل آخره ياء فيكتب بالألف لئلا يتوالى بين يائين وذلك في مثل هو يعيا بالأمر وقد استحيا الرجل ويستحيا منه وكتبوا إحداها بالياء وكل مقصور فحكمه إذا اتصل به المكنى أن يكتب بالألف نحو ذكراها وبشراها فأما كلا وكلتا فعند النحويين أن كلا يكتب بالألف إلا إذا أضيف إلى مضمر في حالتي النصب والجر كقولك رأيت الرجلين كليهما ومررت بالرجلين كليهما وأن كلتا يكتب بالياء إلا أن تضاف إلى مضمر في حالة الرفع كقولك جاءت الهندان كلتاهما وإنما فرق بين كلا وكلتا لأن كلتا رباعية وأبو محمد بن قتيبة ساوى بينهما وأجرى كتابة كلتا مجرى كتابة كلا على مل بين من قبل ومما يجب أن يكتب موصولين ثلثمائة وستمائة والعلة فيه أن ثلثمائة حذفت ألفها فجعل الوصل فيها عوضا عن الحذف وإن ستمائة كان أصلها سدسا مائة فقلبت السين تاء وجعل الوصل عوضا عن الإدغام ومما عدلوا فيه عن رسوم الكتابة وسنن الإصابة أنني وجددت كتابا أنشئ من ديوان الخلافة القادرية إلى أحد الأمراء البويهية وقد كتب المنشئ في أوله وآخره سلام عليك ورحمة الله وبركاته بتنكير السلام في الطرفين والتسوية بينهما في الموطنين والاختيار عند جلة الكتاب المبرزين وأعلام الكتابة المميزين أن يكتب في صدر الكتاب منكرا وفي آخره معرفا لأن اسم النكرة إذا أعيد ذكره وجب تعريفه كما في القرآن " كما أرسلنا فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول " ولهذه العلة اختار بعض الفقهاء أن يتلى في تحيات الصلاة السلام الأول منكرا والثاني معرفا قال الشيخ الرئيس الإمام أبو محمد القاسم بن علي رضي الله عنه فهذه الأوهام في الهجاء أثبتها عن العيان. والتقطتها من كتب جماعة من الأعيان .ولعل خواطرهم هفت بها نسيانا. وأقلامهم خطرفت بها طغيانا على أني لم أقصد بما ألفته من هذا الكتاب. وفتحت به من مغالق الصواب. أن أندد بهفوات الأوهام. وعثرات الأقلام. وأنى يعتمد ذلك لبيب. وهل يتتبع المعايب إلا معيب

ومن ظن ممن يلاقي الـحـرو ب أن لا يصاب فقد ظن عجزا

وأنا أرجو أن يقع هذا الكتاب إلى من يستر المعيبة ويدرأ بالحسنة السيئة وإن أكفى إفراط من ينطق عن الهوى. ويجهل أن لكل امرئ ما نوى. ومن الله أستلهم التوفيق للمقال. المتعلق بالإصابة للفعال. المجتلب حسن الإثابة أنه بكرمه ولي الإجابة